الخطبة الثانية عشرة

خاتم النبيين..

المفهوم الحقيقي

ألقيت بتاريخ ٧ أبريل/نيسان ١٩٨٥م

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ * مَالك يَوْمِ الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (آمين)

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَد منْ رِجَالكُمْ وَلَكنْ رَسُولَ الله وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بكُلِّ شَيْءٍ عَليمًا * يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذكْرًا كَثيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصيلاً﴾ (الأحزاب:٤١-٤٣)

تهمة بغيضة

الكتيب الذي نشرته حكومة باكستان باسم "البيان الأبيض"، هو في الحقيقة بيان أسود ألصقتْ من خلاله تهمٌ باطلة كثيرة بسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام والجماعة الإسلامية الأحمدية. والتهمة الأكثر شناعة وكذبا وإيذاء هي أن حضرته عليه السلام قد أنكر - والعياذ بالله - الآية التي استهللت بها خطبتي، ولم يكن يعتقد بكون النبي ﷺ خاتم النبيين، وبالتالي فإن الأحمدية أيضا تعتقد الاعتقاد نفسه.

إنها لتهمة لا أساس لها من الصحة إطلاقا، وإن الذي يكون قد قرأ كتابات سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بنظرة محايدة لن يعيرها أدنى اهتمام أبدا. ولكن المشكلة - لسوء الحظ - هي أن معظم الناس ليسوا مطّلعين على كتاباته عليه السلام. أما الذين كان من الممكن أن تصل إليهم هذه الكتابات التي من شأنها أن تؤدي مطالعتها بالمسلم العادي إلى حقيقة الأمر، فقد وضعت حكومةُ باكستان العراقيلَ في سبيلهم وقامت بمصادرة تلك الكتب.

إيمان قوي بخاتم النبيين ﷺ

أما فيما يتعلق بكذب التهمة السالفة الذكر فهناك أقوال كثيرة لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بهذا الخصوص نظما ونثرا، تبرهن بكل وضوح على أنه عليه السلام كان يؤمن بكون سيده وسيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين إيمانا قويا وراسخا عميقا وأكثر شمولية ومعرفة ويقينًا من غيره. كما تبين هذه الأقوال أن معرفته عليه السلام بمفهوم ختم النبوة عميقة وشاملة لدرجة لم يبلغ معارضونا أو العلماء الآخرون عشر معشارها إطلاقا.

يقول سيدنا الإمام المهدي عليه السلام:

"يجب أن تتذكروا هنا جيدا أن التهمة التي تُلصَق بي وبجماعتي أننا لا نؤمن بكون رسول الله ﷺ خاتَم النبيين، إنما هي افتراء عظيم علينا. إن القوة واليقين والمعرفة والبصيرة التي نؤمن بها ونتيقن منها بكون النبي ﷺ خاتم الأنبياء، لا يؤمن الآخرون بجزء واحد من المائة ألف جزء منها، لأن ذلك ليس بوسعهم. إنهم لا يفهمون الحقيقة والسر الكامن في مفهوم ختم النبوة لخاتم النبيين ﷺ. لقد سمعوا هذه الكلمة من الآباء والأجداد ولا يعرفون حقيقتها ولا يعرفون ما هو ختم النبوة وما المراد من الإيمان به. ولكننا نؤمن بكون النبي ﷺ خاتم النبيين بالبصيرة التامة (التي يعلمها الله). والله تعالى قد كشف علينا حقيقة ختم النبوة بحيث نجد من شراب المعرفة الذي سُقينا إياه لذة لا يتصورها أحد إلا الذين سُقُوا من هذا النبع." (الملفوظات ج١ ص٣٤٢ طبعة لندن)

ثم يقول حضرته عليه السلام في موضع آخر ما تعريبه:

"إن ملخص ديننا ولبه هو "لا إله إلا الله محمد رسول الله". إن اعتقادنا الذي نتمسك به في هذه الحياة الدنيا، وبه سوف نرحل من عالم الفناء هذا بفضل الله وتوفيقه هو: أن سيدنا ومولانا محمدا المصطفى ﷺ هو

خاتم النبيين وخير المرسلين الذي قد اكتمل الدينُ على يده، وتمت النعمة التي بواسطتها يستطيع الإنسان أن يصل إلى الله ﷻ بسلوكه الصراط المستقيم." (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية ج٣ ص١٦٩-١٧٠)

وقال أيضا:

"وبما أن النبي ﷺ كان أفضل الأنبياء كلهم وأعلاهم وأكملهم وأرفعهم وأجلاهم وأصفاهم في كافة مقتضيات الطهارة الباطنية وانشراح الصدر والعصمة والحياء والصدق والصفاء والتوكل والوفاء وحب الله، لذا فقد عطّره الله جلّ شأنه بعطور الكمالات الخاصة أكثر من غيره. والصدر والقلب اللذان كانا أكثر رحابة وطهارة وبراءة ونورا وعشقا من صدور جميع الأولين والآخرين وقلوبهم، قد استحقا بجدارة أن ينـــزل عليهما وحي أقوى وأكمل وأرفع وأتمّ من وحي الأولين والآخرين جميعا، ليكونا مرآة واسعة ونقية لانعكاس الصفات الإلهية." (مقدمة سرمه جشم آريا، الخزائن الروحانية ج٢ ص٧١)

مثال سافر للتلبيس وإخفاء الحق

الآن أتناول تُهمًا، الواحدة تلو الأخرى، قد وجِّهت إلى الأحمدية ومؤسسها في الكتيب المذكور. الحق أن الكتيب وما جاء فيه إنما هو مثال سافر للدجل والتلبيس. ولقد قُدِّمت فيه - كما سأقرأ عليكم بعض المقتطفات منه - استنتاجات خاطئة بتلبيس الحق بالباطل مرة، أو بقولهم قولا حقا ثم استمدوا منه نتائج خاطئة عمدا مرة أخرى، أو بقولهم قولا زورا واستنتجوا منه - حسب زعمهم - "نتائج منطقية". وهكذا أصبح البيان الأبيض المزعوم مثالا فريدا للتلبيس وإخفاء الحق، فقد جاء فيه:

"لقد ظل تفسير "خاتم النبيين" في غضون ١٤ قرنا ماضية رائجا في العالم كله أن سيدنا محمدا ﷺ كان آخر نبي من أنبياء الله، ولن يأتي بعده نبي. هذا ما فهمه صحابة الرسول ﷺ أيضا من المصطلح القرآني "خاتم النبيين". وبناء على عقيدتهم الراسخة هذه ظلوا متكاتفين ضد كل من أعلن النبوة. كما لم تتسامح الأمة المسلمة قط، على مدى التاريخ الإسلامي، مع شخص ادّعى النبوة." (الكتيب الحكومي ص٢٤-٢٥)

ثم يقولون:

"هناك المفكرون المسلمون الكبار من أمثال ابن خلدون، المؤرخ المعروف وصاحب الرأي القويم، والإمام ابن تيمية وتلميذه المتنوّر ابن القيم، وشاه ولي الله المحدث الدهلوي، والعلامة محمد إقبال الذين بحثوا في مضمون ختم النبوة من الناحية العلمية والاجتماعية والسياسية، وسوف تقرؤون لاحقا في هذا الكتيب أفكار العلامة إقبال حول هذا الموضوع." (المرجع السابق ص٦-٧)

فيما يتعلق بالجزء الثاني من قولهم عن معاملة تلقّاها كل من ادعى النبوة في تاريخ المسلمين ونتيجتها المنطقية فسأتحدث عنها لاحقا، ولكنني أود أن أبين أولا أن قولهم بأن السلف الصالح من الأمة لم يزالوا يعلنون كلهم دون استثناء أن آية خاتم النبيين لا تعني شيئا إلا "النبي الأخير"، إنما هو قول باطل بديهي البطلان، بل هو تهمة صريحة بالسلف الصالح ولا حقيقة لها.

وموضوع ختم النبوة واسع وعميق جدا في دلالاته بحيث لو شرحنا جانبه الإيجابي فقط، أي لو فسرنا كلمة خاتم النبيين فقط دون دحض استدلال معارضينا، لاستغرق ذلك وقتا طويلا.

منـزلة مفكري الإسلام

فيما يتعلق بمفكري الإسلام العظام فلا شك في المنـــزلة السامية للمفكرين الثلاثة المذكورين لأنهم قد أدوا خدمات جليلة للفكر الإسلامي وفلسفته. تعترف الجماعة الإسلامية الأحمدية بصحة تصريح الكتيب المذكور وتقول: إنهم كانوا فلاسفة كبارا وأصحاب علم ومعرفة. أما فيما يتعلق بتقديمهم العلامة إقبال كمفكر الإسلام ففي هذا الصدد أقرأ على مسامعكم قولا لـــه لتعلموا نوعية مفكر الإسلام هذا وحالته.

يقول العلامة إقبال في خطابه الموجَّه إلى السيد صوفي غلام مصطفى تبسُّم:

"إن دائرة معلوماتي الدينية ضيقة جدا.... لقد مضت معظم فترة حياتي في دراسة الفلسفة الغربية. وهذه الأفكار أصبحت فطرتي الثانية إلى حد ما. إنني أطالع حقائق الإسلام من هذا المنطلق قصدا مني أو عن غير قصد." (إقبال نامه، (مجموعة رسائل إقبال) ج١ ص٤٦-٤٧)

فمفكر الإسلام الذي يعترف بنفسه أنه يطالع القرآن متأثرا بالمفكرين الغربيين والفلسفة الغربية، وعلاوة على ذلك معلوماته الدينية قليلة جدا، فإن تقديمه كحجة أمام الأمة الإسلامية ربما يليق بكتّاب هذا الكتيب غير أنه لا يمكن أن يخطر ببال شخص عاقل إطلاقا.

ختم النبوة يحيط بالكمالات كلها

أما فيما يتعلق بكون النبي ﷺ خاتم النبيين والمعاني الواسعة لهذه الكلمة فسأقدم إليكم بعضا من أقوال سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أولا، ثم أورد أقوالاً مماثلة لصلحاء الأمة والمفكرين من السلف الصالح وستعرفون من خلالها كيف حاول كتّاب البيان الأبيض المزعوم تقديم هذا

الموضوع الشامل الواسع في إطار ضيق وبصورة خاطئة؛ إذ يرون أن كلمة خاتم النبيين لا تعني إلا النبي الأخير من حيث الزمن، في حين مازالت الأمة المحمدية ترفض هذا المفهوم رفضا باتا. أما المفاهيم الواسعة والمعارف الدقيقة العظيمة الشأن الأخرى التي هي عميقة المعاني فقد أهملها أصحاب الأفكار السطحية هؤلاء.

يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام:

"الحق دون أدنى شك هو أنه لا أحد من الأنبياء يمكن أن يتساوى بصورة حقيقية مع النبي ﷺ في كمالاته القدسية، حتى لا مجال للملائكة أيضا للتساوي معه ﷺ ناهيك عن غيرهم." (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية ج١ ص٢٦٨)

هذا هو المفهوم الحقيقي لختم النبوة! أي أن النبي ﷺ أرفع منزلة من كافة المخلوقات ومن الملائكة أيضا، مما يعني أن ختم النبوة والمعراج اسمان لشيء واحد.

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"إن فراسة رسولنا ﷺ وفهمه أكثر من فراسة كافة الأمة وفهمها بصورة جماعية. ولولا أن يغضب إخواننا (المسلمون من غير جماعتنا) بسرعة، فإن مسلكي الذي أستطيع إثباته بالحجة هو أن فراسة جميع الأنبياء وفهمهم لا يساوي فراسة النبي الأكرم ﷺ." (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية ج٣ ص٣٠٧)

أي أن الخاتمية تشمل جميع كمالات النبوةِ، والفراسةُ جزء منها. لقد اطلعنا على هذه المعاني السامية بفضل سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. وهناك من السلف الصالح أيضا الذين ذكروا أفكارا مماثلة لها من قبل. أما فيما يتعلق بعمق الموضوع وشموليته فأقوال سيدنا الإمام

المهدي والمسيح الموعود عليه السلام عن مكانة النبي، خاتم النبيين ﷺ عميقة وشاملة جدا. يقول حضرته:

"الحق دون أدنى شك هو أنه لا أحد من الأنبياء يمكن أن يتساوى بصورة حقيقية مع النبي ﷺ في كمالاته القدسية، حتى لا مجال للملائكة أيضا للتساوي معه ﷺ ناهيك عن غيرهم في هذا المجال." (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية ج١ ص٢٦٨)

هنا قد ذُكرت الخاتمية من ناحية القوة القدسية. بمعنى أنه ﷺ لم يكن خاتمًا من ناحية الفراسة فقط، بل كان خاتمًا من ناحية القوة القدسية أيضا لأنه كان ﷺ يجمع في نفسه القوة القدسية لكافة الأنبياء والملائكة. لذلك فقد سُمِّي ﷺ خاتم النبيين. لقد أوردت هذا المقتبس من قبل أيضا ولكن رأيت من الأنسب أن أشرح الموضوع من هذا المنطلق الجديد أيضا.

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"لقد بلغت جميع النبوات والرسالات منتهاها عند وصولها ذروة كمالها في شخص سيدنا وإمامنا محمد ﷺ." (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية ج١٠ ص٣٦٧)

أي لم تتمركز فيه ﷺ ميزات كافة الأنبياء السابقين بصورة عادية فقط بل بلغت ذروة كمالها. هذا هو كلام المعرفة العميقة عن ختم النبوة الذي أعطاه اللهُ عز وجل سيدَنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. يقول حضرته في موضع آخر:

"إن نبينا ﷺ جامع لجميع الكمالات المتفرقة، كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿فبِهُدَاهم اقْتَده﴾ (الأنعام:٩١)، أي اقتدِ كلَّ نوع من الهدى الذي أُعطِيَها الأنبياءُ السابقونَ كلهم. فمن البديهيِ أن الذي يجمع في

نفسه تلك الهدايات المتفرقة يكون كاملا شاملا مكمَّلا ويصبح أفضل من الأنبياء كلهم." (عين المسيحية، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص٣٨١)

هنا ذكر سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام كون النبي ﷺ "خاتم النبيين" من ناحية التعليم والهدى، إذ جُمع في تعليمه وهديه ﷺ أحسنَ ما ورد في جميع التعاليم التي جاءت إلى الدنيا على مرّ العصور.

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"النبوات والكتب التي خلت من قبل لا حاجة للاقتداء بها على حدة، لأن النبوة المحمدية تشملها وتحيط بها كافة. والسبل الأخرى ما عدا هذه النبوة مسدودة كلها. كل نوع من الحقائق الموصلة إلى الله تعالى توجد فيها. لن تأتي بعدها حقائق جديدة كما ليست هناك حقائق كانت موجودة فيما سبق ولا توجد فيها. لذا فقد خُتمت بها النبواتُ بكل أنواعها، وهكذا كان يجب أن يكون." (الوصية، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص٣١١)

إذن فلم تعد هناك حاجة لاقتداء النبوات والكتب السابقة على حدة، وهذا أيضا من مقتضيات ختم النبوة. لو بقي جزء من النور أو الحقائق خارج دائرة نبوة محمد ﷺ لكانت هناك حاجة للاقتداء بها على حدة. ولكن إذا وُجدت كل حقيقة ونور في دائرة ختم النبوة وتجلت بلمعان جديد وبلغت ذروة الكمال، فالنبي الذي أغنى الباحث عن الخيرات من كل باب آخر قد سُمّي بخاتم النبيين.

كذلك يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في أبيات شعره ما نصه:

لا شك أن محمدًا خيرُ الورى — رَيْقُ الكرام ونخبة الأعيانِ
تَمّتْ عليه صفاتُ كلِّ مزيّةٍ — خُتمتْ به نعماءُ كلِّ زمانِ
هو خيرُ كلِّ مقرَّبٍ متقدّمٍ — والفضلُ بالخيرات لا بزمانِ

يا ربّ صَلِّ على نبيك دائما في هذه الدنيا وبعثٍ ثـــانِ

(مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج٥ ص٥٩٢-٥٩٣)

ثم يقول في أبياته باللغة الفارسية ما تعريبه:

"الرسول الذي اسمه محمد ﷺ نتمسك بوجوده الطاهر دائما.

هو خير الرسل وخير الأنام وبه خُتمت كل نبوة.

الماء الروحي كله نشربه منه، وكل من يرتوي إنما يرتوي بفضله.

وبفضله ﷺ ننال كل نور وكمال، ولا يمكن الوصول إلى المحبوب الأزلي إلا بواسطته.

هذا هو عشقي للمصطفى ﷺ، وقلبي يطير إلى المصطفى ﷺ مثل الطير دائما." (سراج منير، الخزائن الروحانية ج١٢ ص٩٣-٩٤)

مفهوم عميق لـ"ختم النبوة"

هنا يبيّن حضرته عليه السلام مفهوما جديدا لختم النبوة، وهو أن ختم النبوة لا يكتفي بجمع درجات الكمال في نفسه بل يوسِّعها ويوصل بركاتها إلى الآخرين أيضا. لا يُبقي فيوضه مقتصرة على نفسه بل يوسعها إلى الآخرين أيضا بقوة وعظمة لدرجة يصبح كل تلميذ مخلص لخاتم النبيين ﷺ صاحبَ الكمال شيئا فشيئا. يوضح حضرته عليه السلام هذا الموضوع في مكان آخر في بيت من شعره ما تعريبه:

"لقد صرنا خير الأمم بفضلك يا خير الرسل! ولقد تقدمّنا إلى الأمام نتيجة لتقدمك."

هذه بضعة نماذج قدمتها إليكم. غير أن أقوال سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام حول موضوع ختم النبوة إنما هي كنـــز عظيم لا يحظى بعشر معشاره المشايخ المعاصرون المعارضون لنا. لو قرأ شخص

عادل وذو قلب حساس أقواله ال بتأنّ وتأمّل لتوصل إلى النتيجة نفسها حتما.

وكذلك السلف الصالح أيضا - كما أسلفت - ذكروا الأمور نفسها بصورة متفرقة وقد جمعها سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ال كلها. إذن فكما كان النبي ﷺ خاتم النبيين كذلك كان سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ال خاتم عشاق النبي ﷺ. ليس هناك جانب واحد ذكره الآخرون بصورة متفرقة ولم يجمعه الإمام المهدي ال في أقواله. كما أنه ليس ثمة جانب واحد من مفاهيم ختم النبوة ذَكَره الآخرون ولم يذكره حضرته ال بصورة أفضل وأجلى وأرفع وأكمل منهم.

يقول الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي (المتوفى ٣٠٨ هـ):

"ومعناه عندنا أن النبوة تمت بأجمعها لمحمد ﷺ، فجُعل قلبُه لكمال النبوة وعاءً عليها ثم خُتِمَ." (كتاب ختم الأولياء ص٣٤١)

رغم أن معرفة الحكيم الترمذي بختم النبوة عميقة جدا ولكنه مع ذلك يقول في النهاية "ثم ختم" مما قد يُفهَم منه خطأً أن فيوض النبي ﷺ المتعلقة بختم النبوة مقتصرة عليه فحسب ولم تعد هناك إمكانيةُ اتساع نطاقها إلى الآخرين.

لقد قدّم سيدنا المسيح الموعود ال الآية: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ (النجم:٩) كبرهان قاطع على بقاء فيوض ختم النبوة، وشرحَها قائلا بأن النبي ﷺ دنا إلى الله تعالى لنيل بركات إلهية (كما ذُكِر في حادث المعراج). ثم لم يكتف بحصرها على نفسه فقط، بل كما أن الأغصان المثمرة تتدلى بسبب

عبء الثمار كذلك فإن النبي ﷺ أيضا تدلى برحمة وتحنن إلى نوع البشر لإيصال هذه البركات إليهم.

يقول الإمام فخر الدين الرازي (المتوفى ٥٤٤ هـ):

"فالعقل خاتم الكلّ، والخاتم يجب أن يكون أفضل. ألا ترى أن رسولنا ﷺ لـمّا كان خاتم النبيين كان أفضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام." (التفسير الكبير للإمام الرازي تحت الآية: قال رب اشرح لي صدري)

تأويلات حكيمة لمفكري الإسلام

أما فيما يتعلق بالمفكرين الذين يعترف بهم الكتيب الحكومي أيضا كمفكري الإسلام الكبار فيقول أحدهم وهو العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي (المتوفى ٨٠٨ هـ):

"ويمثلون الولاية في تفاوت مراتبها بالنبوة، ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الأولياء أي حائز الرتبة التي هي خاتمة الولاية، كما كان خاتم الأنبياء حائزا للمرتبة التي هي خاتمة النبوة." (تاريخ ابن خلدون ج١ ص٢٧١)

أي لا يُراد هنا الأخيرُ من حيث الزمن، بل من ناحية المنـزلة والمكانة وإلا سوف تفلت الولاية أيضا من الأيدي إلى الأبد ولسوف تحرم الأمة من الولاية نهائيا (والعياذ بالله).

يقول سلطان الأولياء، أبو سعيد الـمُخَرّمي (المتوفى ٥١٣ هـ)، المرشدُ الروحي لحضرة عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

"والأخيرة منها أعني الإنسان إذا عرج ظهر فيه جميع المراتب المذكورة مع انبساطها ويقال لـه الإنسان الكامل. والعروج والانبساط على الوجه الأكمل كان في نبينا ﷺ ولهذا كان ﷺ خاتم النبيين." (تحفة مرسلة شريف لأبي سعيد الـمُخَرّمي، ترجمة وشرح: محمد عبد العزيز الجالندهري، ص٥١)

كل هذه المواضيع المذكورة آنفا تشبه بعضها بعضا وكما أسلفتُ أنها لا تحيط بكافة جوانب الخاتمية.

يقول حضرة جلال الدين الرومي رحمه الله (المتوفى ٦٧٢ هـ) في منظوماته الفارسية ما تعريبه:

"إن النبي ﷺ هو خاتم النبيين لأنه لم ولن يكون له مثيل من ناحية إيصال الفيوض الروحانية إلى الآخرين. (هنا يبيّن حضرته الموضوع نفسه الذي بيّنه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بأن سيدنا محمدًا ﷺ يوسّع دائرة فيوضه ويوصلها إلى الآخرين). وعندما يصل صانع خبير الذروةَ في صنعته، ألا تقول له يا ترى: "خُتِمَتْ عليك الصنعة"؟ (مفتاح العلوم لمولوي محمد نذير عرشي (شرح مثنوي جلال الدين الرومي)، المجلد١٥ الدفتر٦ الجزء ١ ص٥٦-٥٧)

كذلك المولوي محمد قاسم النانوتوي الذي هو من كبار الفرقة الديوبندية التي قد عقدت العزم في هذه الأيام على تشويه مفهوم خاتم النبيين، يقول:

"إن الأنبياء بسبب إبلاغهم الأوامر يكونون نائبين لله تعالى مثلما يكون الولاة والوزراء للملك، لذا يجب أن يكون لهم الحكم.... فكما تكون هناك مراتب تابعة للملك وأعلاها الولاية أو الوزارة، وتكون المراتب الأخرى كلها خاضعة لهما، فالوالي أو الوزير يستطيع أن يخرج عن أوامر الآخرين الذين هم أدنى منه رتبة، ولكن لا يستطيع أحد أن يخرج عن أوامره. والسبب في ذلك أن درجات المراتب تختم به. كذلك ليست هناك مرتبة أو درجة في مراتب النبوة فوق مرتبة خاتم النبيين بل المراتب الأخرى كلها تابعة لها." (مجموعة نادرة للرسائل والخطابات، مباحثة شاهجهان بور عام ١٩١٤، ص٢٥)

ختم النبوة أرفع من حدود الزمن

الكلام المذكور أعلاه أيضا يتناول موضوع الكمال المعنوي أو الخاتمية المعنوية ولا علاقة لــه بالخاتمية من حيث الزمن. كذلك فسر مختلف العلماء كلمة "خاتَم النبيين" بمعنى الزينة والخاتَمِ الذي يُلبس في الإصبع، وإيصالِ الفيض والبركة إلى الآخرين بمعنى أن الخاتَم يُستعمل للتصديق. فمن هذا المنطلق إن النبي ﷺ مصدِّق للفضائل كلها. ويقدّم سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام هذا الأمر كمنّة النبي ﷺ على الأنبياء السابقين، يقول:

"لقد صار ﷺ خاتَم الأنبياء، ولكن ليس بمعنى أنه لن يُستمَدّ منه فيضٌ روحاني في المستقبل بل بمعنى أنه صاحب الخاتَم، فلن ينال أحد فيضا إلا بفضل خاتَمه. ولن يُغلَق باب المكالمة الإلهية ومخاطبتها أبدا على أمته إلى يوم القيامة. وليس هناك نبي صاحب الخاتم إلا هو ﷺ. وهو الوحيد الذي يمكن أن توهب بفضل خاتمه النبوةُ التي يُشترط لصاحبها أن يكون من أمته ﷺ." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية ج٢٢ ص٢٩-٣٠)

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"لقد آمنت بنبيه ﷺ بصدق القلب، وأعلم أن النبوات بكل أنواعها قد خُتمت عليه. وشريعته خاتمة الشرائع إلا إن هناك نبوة لم تنقطع، أي النبوة التي تُنال نتيجة الاقتداء الكامل به، والتي تستنير بنوره، فإنها لم تنقطع لأنها نبوة محمدية أي ظلّها وبواسطتها ومظهرُها ومنها تستفيض." (عين المعرفة، الخزائن الروحانية ج٢٣ ص٣٤٠)

علاوة على ذلك يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في موضع آخر بأن الأنبياء كلهم مدينون لخاتَمه أي ختم النبوة، وإن صدقهم قد تحقق بسبب هذا الخاتَم. ولو لم يصدّق النبيُ ﷺ الأنبياءَ كلهم لما كنا

مؤمنين بصدقهم. فهذا فضل بحت من النبي ﷺ فإنه لم يحسن إلى الأنبياء السابقين كلهم فقط بل أحسن أيضا إحسانا عظيمًا إلى الأنبياء المبعوثين في كل زمان ومكان من العالم بتصديقه إياهم. فإن بركة كونه خاتَم النبيين تمتد إلى الأمام من الناحية الزمنية كما تعود إلى الوراء أيضا في آن واحد، أما من حيث المكان فلا تعرف حدودًا لها.

وإليكم الآن قولا آخر في صدد كون النبي ﷺ خاتم النبيين، وهو قول الإمام الرباني مجدد القرن الثاني عشر حضرة الشيخ أحمد السرهندي (المتوفى ١٠٣٤هـ)، أحد الأقطاب وأولياء الله الكبار حسب اعتقاد كل من الأحناف والديوبنديين والبريلويين وأهل السنة وغيرهم، فيقول ما تعريبه:

"إن حصول المتبعين على كمالات النبوة عن طريق الاتّباع والوراثة بعد بعثة النبيّ ﷺ خاتم الرسل، عليه وعلى جميع الأنبياء والرسل الصلوات والتحيات، لا ينافي كونه خاتم النبيين، عليه وعلى آله الصلاة والسلام، فلا تكن من الممترين." (مكتوبات الإمام الرباني، الدفتر الأول مكتوب٣٠١ ج٥ ص١٤١)

بعثة نبي من الأمة لا تنافي ختم النبوة

أين الآن إعلان الكتيب الحكومي القائل بأن السلف الصالح متفقون دون أي استثناء على أن كلمة خاتم النبيين لا تعني شيئا إلا أن النبي ﷺ كان آخر الأنبياء من حيث الزمن ولن يأتي بعده نبي من أي نوع أبدا.

وإليكم الآن موقف الإمام الباقر رحمه الله إذ يقول حضرته:

"عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة،

فكيف يقرّون في آل إبراهيم الطَّيْلا وينكرونه في آل محمد صلى الله عليه وآله." (الصافي، شرح أصول الكافي، لملا خليل، كتاب الحجة، ج٣ ص١١٩)

يقول حضرة جلال الدين الرومي رحمه الله - الذي يسمى تاج الأولياء أيضا - في بيت شعره وترجمته:

"حاول أن تقوم في سبيل الحسنة بخدمات عظيمة لكي تنال النبوة في الأمة." (مفتاح العلوم لمولوي محمد نذير عرشي (شرح مثنوي جلال الدين الرومي)، المجلد١٣، الدفتر٥، الجزء الأول ص٩٨)

فماذا يفتي به الآن العلماء المعاصرون المعاندون للأحمدية عن كل هؤلاء العلماء؟ وكيف يغضون الطرف عن تلك الأقوال كلها؟ ألم يفتضح كذبهم حين قالوا بأن صلحاء الأمة وعلماءها جميعهم متفقون على أن كلمة خاتم النبيين لا تعني شيئا إلا الأخير من حيث الزمن؟ ولكننا عندما نطالع أقوال الصلحاء والأقطاب بتأمّل وتأنّ نجد الأمر على عكس ما يقوله معارضونا. ومن المستحيل أن تضم اللجنة الضخمة، التي كلّفتها حكومة باكستان للتحقيق في هذا الموضوع، جهّالا فقط لا يعرفون حتى وجود الأقوال المذكورة. لا أشك في أنهم كانوا على علم بها ولكنهم تعمّدوا التلبيس وقصدوا الكذب.

المعنى الذي بحسبه يعتقد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود الطَّيْلا إمكانية النبوة في الأمة المحمدية هو كالتالي:

"لا يمكن أن ننال إطلاقا أية مرتبة من مراتب الكمال والشرف والعز والقرب دون اقتداء كامل لنبينا ﷺ. كل ما نناله إنما هو بصورة ظلية وبواسطته ﷺ." (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية ج٣ ص١٧٠)

ثم يقول:

"لقد حزت هذا الشرف بسبب اقتدائي للنبي ﷺ فقط. لو لم أكن من أمته ﷺ ولو لم أقتد به لما نلت شرف المكالمة والمخاطبة أبدا. ولو كانت أعمالي مثل سائر جبال الدنيا لما حزت هذا الشرف للمكالمة والمخاطبة إطلاقا، لأن النبوات بكل أنواعها قد انقطعت ما عدا النبوة المحمدية. لا يمكن أن يأتي نبي بشرع جديد، ويمكن أن يأتي نبي بغير شريعة بشرط أن يكون من الأمة أولا. فبناء على ذلك أنا نبي وأميّ أيضا." (التجليات الإلهية، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص٤١١-٤١٢)

ثم يقول عليه السلام:

"يا قليلي الفهم! ويا عديمي البصيرة! إن نبينا ﷺ، وسيدنا ومولانا (عليه ألف سلام) قد سبق جميع الأنبياء من حيث بركاته الروحانية، لأن بركات الأنبياء السابقين قد انقطعت عند حد معين. فهؤلاء الأقوام وتلك الأديان ميتة الآن لا حياة فيها، إلا أن الفيض الروحاني للنبي ﷺ مستمر إلى يوم القيامة. فبسبب استمرار بركات النبي ﷺ، لم يعد ضروريّا لهذه الأمة أن يأتي المسيح من خارجها بل إن تلقي شخص عادي تربيةً في ظله ﷺ يمكن أن يجعل منه مسيحا كما جعلتني أنا الضعيف." (عين المسيحية، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص٣٨٩)

والآن أقدم إليكم قول أحد من صلحاء الأمة الذي يقول عنه الكتيب الحكومي بأنه من مفكري الإسلام المعترف بهم. أقصد إمام الهند، مجدد القرن الثاني عشر، المتكلم العظيم والصوفي المعروف، ولي الله المحدث الدهلوي. يقول حضرته:

"امتنع أن يكون بعده نبي مستقل بالتلقي." (الخير الكثير ص٧٨)

وهذا عين ما قاله سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. وعلاوة على ذلك تشكِّل هذه العبارة ردًّا على فكرة مجيء المسيح الناصري عليه السلام

لأن حضرته يقول بأنه لا يمكن أن يكون نبيّ لم يتلق الفيض من النبي ﷺ مباشرة. ومن المعروف لدى الجميع أن المسيح الناصري عليه السلام لم يقتبس من بركات النبي ﷺ مباشرة ولا يمكن له ذلك أيضا.

فالسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو أنه عندما يأتي المسيح الناصري عليه السلام، يكون قد درس التوراة والإنجيل سابقا لا القرآن ولا الأحاديث، فهل يتخذ أحدا من الناس أستاذا له أو يتتلمذ على أحد من المشايخ لدراسة القرآن والأحاديث؟

يقول البعض ردّا على هذا السؤال: لا! بل سوف ينـزل الله عليه كلامَه مباشرة من جديد.. أي سينـزل القرآن عليه مجددا كما نزل على محمد ﷺ من قبل، كذلك ستنـزل عليه الأحاديث أيضا بصورة الوحي. أقول: حتى إذا كان الأمر هكذا، فمع ذلك كيف يكون قد اقتبس الفيوض مباشرة إذن؟ علما أنه كان نبيا مستقلا في حد ذاته ولم تكن له علاقة بأمة محمد ﷺ لأنه كان قد نال الفيض من نبي آخر ثم بقي في السماء إلى ألفي سنة ثم ينـزل وينال النبوة مباشرة، حسب زعمكم.

ثم يبين سيدنا الإمام المهدي عليه السلام معنى آخر لختم النبوة وهو أنه لا يمكن أن يأتي نبي بشريعة جديدة لأن الخاتمية تجمع الكمالات والصفات الحسنة كلها. فإذا حازت شريعة ما الكمال ولم يبق نوع من كمال أو فضيلة إلا وقد أُودِعت فيها فلا ينشأ سؤال شريعة جديدة إلا إذا مسخت أو حرّفت الشريعة السابقة. فإذا كان القرآن مضمونا حفظه أيضا فالنتيجة المنطقية والطبيعية للأمرين هي أنه يمثل شريعة أخيرة، لأن الكتاب النازل على محمد ﷺ بصفته خاتم النبيين قد أحاط بسائر الكمالات. وبالإضافة إلى ذلك فقد وعد الله عز وجل أن حكمه سوف يمتد إلى يوم القيامة. ولقد قال رسول الله ﷺ: أنا والساعة كهاتين، وجمع بين إصبعيه.. أي لن يأتي

أحد إلى يوم القيامة ينسخ شريعتي. وبطبيعة الحال إن هذا السؤال لا يمكن أن ينشأ بعد يوم القيامة. هذا هو المفهوم الذي بيّنه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ؑ، والذي يؤلم هؤلاء الناسَ أكثر من غيره، فيعترضون عليه مرة بعد أخرى ويقولون إن الأحمديين يعلنون من ناحية أنهم يؤمنون بكون النبي ﷺ خاتم النبيين، ومن ناحية أخرى يفتحون بابا لنبي يبعث من الأمة، ويقولون إن محمدًا ﷺ هو آخر الأنبياء من حيث الشريعة، وليس من حيث النبوة غير التشريعية.

يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ؑ:

"لقد أعطِي سيدُنا محمد ﷺ شرفا خاصا أنه خاتم الأنبياء بمعنى أنه من ناحية خُتمت عليه كمالات النبوة كلها، ومن ناحية ثانية لن يكون بعده رسول بشرع جديد أو نبي من خارج أمته ﷺ. بل كل من يتشرف بالمكالمة الإلهية إنما يتشرف بها بفضله وواسطته ﷺ، ويُدعَى أمّتيّا وليس نبيا مستقلا." (عين المعرفة، الخزائن الروحانية ج٢٣ ص٣٨٠)

ويقول أيضا:

"قد انقطعت النبوة الآن بكل أنواعها ما عدا النبوة المحمدية. لا يمكن أن يأتي نبي بشرع جديد. وإنما يمكن أن يكون هناك نبي دون شريعة ويكون أمّتيّا أوّلا." (التجليات الإلهية، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص٤١٢)

تأويل الجهلة

إذن هذا هو مفهوم خاتم النبيين الذي بيّنه سيدنا الإمام المهدي ؑ والذي يهاجمه الأعداء بشدة متناهية. هذا الجزء هو الأكثر إثارة لاعتراضهم حيث يقولون عنه إن الأمة المحمدية لم ولن تسكت عنه أبدا، وبأن الصلحاء ما زالوا يكتبون ضده على الدوام ويصرحون أن النبي ﷺ

هو آخر الأنبياء من حيث الزمن والشريعة معا. فلا يمكن أن يبعث نبي بعده أيّا كان نوعه. هذا ما يقولونه اليوم تعصبا، ولكن ماذا قال صلحاء الأمة في هذا الصدد؟ هاكم ما قاله الصوفي المعروف محمد بن علي الحسن الحكيم الترمذي (المتوفى عام ٣٠٨ هـ):

" فإن الذي عَمِيَ عن خبرِ هذا يظنُّ أن خاتم النبيين تأويله أنه آخرهم مبعثا. فأي منقبة في هذا؟ وأي علم في هذا؟ هذا تأويل البُلْهِ الجَهَلة." (كتاب ختم الأولياء، ص٣٤١)

هذا هو التأويل الذي تحاول حكومة باكستان أن تفرضه على المسلمين في العالم بأسره. عندما نقول لهم إنكم من ناحية تقولون إن النبوة قد انقطعت بكل أنواعها فلن يأتي الآن نبيٌّ من أي نوع، فما معنى انتظاركم المسيح الناصري عليه السلام إذن؟ فأقلعوا عن فكرة انتظاره واستريحوا، فقد سُدّت جميع السبل لمجيء أحد في هذه الأمة. يقولون: كلا! بل الأمر هو أن الرسول ﷺ كان آخر الرسل مبعثا، ومن تلقى النبوة قبله ﷺ فلا حرج في مجيئه مرة أخرى.

هذه هي حجتهم الوحيدة، ثم يقولون: هذا ما اعتقد به السلف الصالح أيضا. ولكن قولهم هذا كذب صريح وشنيع في الوقت نفسه. ولو قبلنا هذا التأويل لكان تأويل الأغبياء الجاهلين إذ لا يضيف إلى عظمة الرسول ﷺ شيئا. وإليكم الآن ما قاله الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي (المتوفى ٦٣٨ هـ):

"فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق وإن كان التشريع قد انقطع. فالتشريع جزء من أجزاء النبوة." (الفتوحات المكية ج٣ ص١٥٩، الباب الثالث والسبعون في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد)

ويقول أيضا:

"فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله ﷺ إنما هي نبوة التشريع، لا مقامها، فلا شرع يكون ناسخا لشرعه ﷺ، ولا يزيد في شرعه حكما آخر. وهذا معنى قوله ﷺ: إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي. أي لا نبي بعدي يكون على شرع يخالف شرعي، بل إذا كان يكون تحت حكم شريعتي، ولا رسول أي لا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرع يدعوهم إليه. فهذا هو الذي انقطع وسدّ بابه، لا مقام النبوة." (المرجع السابق ص٤)

يقول حضرة الشيخ بالي أفندي (المتوفى ٩٦٠ هـ):

"فخاتم الرسل هو الذي لا يوجد بعده نبي مشرع." (شرح فصوص الحكم ص٥٦)

من الواضح أن الشيخ لا ينكر بعثة نبي غير مشرع، وإنما ينكر مجيء نبي مشرع إذ يقول: "لا يوجد بعده نبي مشرع."

كذلك يقول الصوفي المعروف الإمام عبد الوهاب الشعراني:

"اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد ﷺ، وإنما ارتفع نبوة التشريع فقط." (اليواقيت والجواهر، ج٢ ص٣٥)

ويقول السيد عبد الكريم الجيلي:

"فانقطع حكم نبوة التشريع بعده، وكان محمد ﷺ خاتم النبيين، لأنه جاء بالكمال و لم يجئ أحد بذلك." (الإنسان الكامل ج١ ص١١٥)

يشرح الشيخ محمد وسيم الكردستاني مفهوم خاتم النبيين في هامش "تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام" للشيخ عبد القادر الكردستاني ج٢ ص٢٣٣ ويقول:

"... أن معنى كونه خاتم النبيين هو أنه لا يُبعث بعده نبيٌّ آخر بشريعة أخرى."

من الممكن أن يُستنبط من هذا الكلام معنيان: أنه لن يبعث نبي، لا بشريعة سابقة ولا بشريعة جديدة. فلو قبلنا هذا لانسد باب مجيء عيسى عليه السلام أيضا لأنه بحسب القرآن الكريم كان "رسولا إلى بني إسرائيل"، وتابعا لشريعة موسى عليه السلام.

أين الثرى من الثريا؟

وإليكم الآن قولا آخر لولي الله الدهلوي مجدد القرن الثاني عشر يقول:

"وختم به النبيون أي لا يوجد من يأمره الله سبحانه بالتشريع على الناس." (التفهيمات الإلهية، ج٢ ص٨٥)

ويقول المولوي محمد قاسم النانوتوي:

"العامة يرون أن رسول الله ﷺ خاتم النبيين بمعنى أن زمنه كان بعد الأنبياء السابقين وهو آخر الأنبياء كلهم. غير أن أهل الفهم يدركون جيدًا أنه ليس في التقدم أو التأخر من حيث الزمن أية فضيلة في حد ذاته. لو كان الأمر كما يظن العامة فكيف يصح أن يقول الله تعالى في مدح الرسول ﷺ: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾؟ أما إذا لم نعتبر قوله تعالى هذا مدحًا، ولم نعتبر هذه المنـــزلة ثناءً، عندها قد يصح أن يكون مفهوم خاتم النبيين بمعنى التأخر الزمني. ولكنني أعرف أن هذا الكلام لن يروق لأحد من أهل الإسلام." (تحذير الناس لمحمد قاسم نانوتوي ص٤-٥)

من هم أهل الإسلام الذين لا يروق لهم هذا الكلام؟ نحن الأحمديون أم المشايخ الباكستانيون؟

والآن إليكم قولا آخر لعلماء البريلويين الذين يخالفون أهل الديوبند، لأن البريلويين وأهل السنة الآخرين الذين لا يوافقون الرأي مع أهل ديوبند يتهمونهم دائما بأنهم لم يؤسسوا مدرسة ديوبند بل أسسوا الجماعة

الإسلامية الأحمدية في الحقيقة، وفتحوا أمام مؤسسها أبوابا دخل منها حتى قام بإعلان النبوة التشريعية (والعياذ بالله).

هناك عالم للفرقة البريلوية اسمه السيد أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكهنوي، فهو يبين موقفه من ختم النبوة كالآتي:

"لا يستحيل وجود نبي في زمن النبي ﷺ أو بعده، بل يمتنع أن يكون بشريعة جديدة." (أثر ابن عباس في دافع الوسواس ص١٦)

يصرح هذا العالم بأن ذلك ليس اعتقاده هو فحسب بل ما زال علماء أهل السنة أيضا يصرحون بذلك، فيقول:

"ما زال علماء أهل السنة يصرّحون أنه لا يمكن أن يكون في عصر الرسول ﷺ نبي بشريعة جديدة، فإن نبوته ﷺ عامة. فالنبي الذي يكون في عصره ﷺ يكون تابعا للشريعة المحمدية." (مجموعة الفتاوى لمحمد عبد الحي اللكهنوي ج١ ص١٧)

نقدم الآن التصريحات الواردة في كتيب نشرته حكومة باكستان بعنوان: "القاديانية، الخطر الرهيب على الإسلام":

"ما زالت فكرة ختم النبوة (أي كون النبي ﷺ آخر الأنبياء زمنا حسب زعمهم – الناقل) من مبادئ الإسلام الأساسية عبر تاريخ الإسلام كله. وكان طابع هذه الفكرة عميقا جدا في رؤية المسلمين وتصرفاتهم ومشاعرهم." (الكتيب المذكور ص٥)

السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو أنه فيما يتعلق بدراسة التاريخ الإسلامي فلا نجد ذكر هذه الفكرة وآثارها إطلاقا. كما لا نرى لهذا الانطباع أي أثر على صلحاء الأمة والأقطاب الذين احتلوا مكانة مرموقة في الأمة. إذن فمن أين أخذ معارضونا هذا الانطباع؟ هذا ما كنت أبحث عنه، وكنت على يقين أنهم لم يأخذوه من صلحاء الأمة المحمدية.

فوجدت أن القرآن قد بيّن مصدره مسبقا حيث يخبر الله ﷻ في كلامه المجيد:

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ * الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر: ٣٥-٣٦).

فتبين أن هذا الاعتقاد كان موجودا منذ ذلك الوقت والقرآن يدحضه بشدة. ثم يذكر الله تعالى "هذا الانطباع" بالكلمات نفسها ويقول إن الله تعالى يطبع على قلوب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان. وليعلم هؤلاء أن ذلك التصرف مكروه عند الله. إذن هذا هو مصدر انطباعهم المذكور. يقول الله تعالى: هذا ما فعلتم في زمن يوسف عليه السلام أيضا. ما دام يوسف حيّا يرزق ظل يقدم حججه، ولكنكم ما أصغيتم إليه بل بذلتم قصارى جهودكم في المعارضة، وإذا هلك قلتم: لن يبعث الله بعده رسولا. وهكذا خرجتم من طاعة يوسف بسبب رفضكم إياه، ومن ناحية ثانية خلعتم طاعة النبوة بشكل عام وعلى الدوام بسبب اعتقادكم أن الله لن يبعث في المستقبل رسولا. إذن فهذا الاعتقاد الخاطئ كان سائدا منذ زمن سيدنا يوسف عليه السلام.

وبما أن القرآن الكريم يسد طريق كل خطر فليس بوسع أحد أن يتغلب عليه بمكره ودهائه. فيبيّن الله تعالى الموضوع نفسه في موضع آخر حيث يقول:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا﴾ (الجن: ٥ -٨).

يتضح من هذه الآيات أنهم أيضًا في تلك الأيام كانوا يزعمون حمقا وغباوة منهم كما تزعمون اليوم أنه لن يبعث الله أحدا.

مفهوم خاتم النبيين في ضوء الأحاديث

لقد ادّعوا أنه لن يُبعث نبي أبدا، وركّزوا لإثبات موقفهم هذا على الأحاديث بدلا من القرآن الكريم، ويقولون: إن هناك أحاديث عديدة تثبت قطعا أن الرسول ﷺ كان آخر الأنبياء من حيث الزمن. والفكرة التي تبرز للعيان بعد قراءة أحاديث يقدمونها هي أنه لن يبعث بعد النبي ﷺ إلا الدجالون والمتنبئون، وكأن سبل بعثة الأنبياء الصادقين قد أغلقت على هذه الأمة على الدوام، وفتحت أبواب المتنبئين الكاذبين والدجالين على مصراعيها. هذا هو مفهوم ختم النبوة عندهم الذي يقدمونه بحماس شديد وبشدة متناهية. وفي هذا الصدد قدّموا بعض الأحاديث، منها:

"عن ثوبان رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبيّ، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي." (أبو داود، كتاب الفتن)

يقولون: أين المجال بعد هذا الحديث لمجيء نبي من أي نوع، أو بأي مفهوم من مفاهيم ختم النبوة؟

أقول: هذا صحيح ونحن معكم في هذا مائة بالمائة، ونقر بأن الباب الذي أغلقه النبي ﷺ لا يحق لأحد أن يفتحه أبدا. فآمنّا وصدّقنا بكل ما

قاله الرسول ﷺ. وإنني أعترف بذلك باسم الأحمدية كلها. ولكن الباب الذي فتحه النبي ﷺ بيده لا يقدر أحد - كائنا من كان - على إغلاقه. وهذا ما لا تقبلونه أنتم، مما يجعل الأمر متنازعا فيه بيننا وبينكم، وإلا فلا اختلاف في أن الباب الذي أغلقه النبي ﷺ سوف يظل مغلقا، ولكن الباب الذي فتحه النبي ﷺ لا بد أن يبقى مفتوحا أيضا. هذا كل ما في الموضوع من الاختلاف بيننا.

المسيح المنتظر يكون نبي الله

قد قرأتم حديثا في الموضوع الذي نحن بصدده، والآن اقرأوا حديثا آخر حيث ذكر النبي ﷺ نزول عيسى عليه السلام وسمى المسيح الموعود بـــ "نبي الله" أربع مرات، ولسوف أقرأ عليكم من الحديث الطويل الجزء الذي يخص الموضوع:

"... يحصر "نبيّ الله" عيسى وأصحابه... فيرغب "نبيّ الله" عيسى وأصحابه.... ثم يهبط "نبيّ الله" عيسى وأصحابه.... فيرغب "نبيّ الله" عيسى وأصحابه إلى الله." (مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه)

لقد لاحظتم أن النبي ﷺ سمّى المسيح المقبل "نبي الله" أربع مرات، علما أن صحيح مسلم من أهم الكتب في الصحاح الستة.

ولو قيل بأن الذي سيأتي إلى الدنيا مرة ثانية كان نبيّا قديما. ففي هذه الحالة من المفروض أن يأتي معه إلى الدنيا مرة ثانية أتباعُه أيضا الذين سمّوا بأصحابه ولُقِّبوا بلقب رضي الله عنهم. فمن الواضح أن النبي ﷺ هنا يذكر حادثا سوف يحدث بعد وفاته ﷺ.

فثبت على وجه القطعية أنه مهما ظهر الدجالون الكذابون، ثلاثون كانوا أم ثلاثمائة ألف، فإن لقب "نبي الله" الذي وهبه الرسول ﷺ للمسيح المقبل لا تستطيع قوة من قوى الدنيا أن تنتزعه منه.

يروى عن "زار" ملك روسيا، أنه في إحدى المرات أمر أحد حراسه ألا يسمح لأحد - كائنا من كان - بالدخول إلى مقصورته لانشغاله في أمور هامة. فتهيأ الحارس لتنفيذ الأمر. ثم حدث بعد برهة أن جاء ابن "زار" وأراد الدخول إلى مقصورة الملك ليزور والده، فمنعه الحارس وقال: إنني مأمور بألا أسمح لأحد بالدخول. فقال الأمير: من أنت حتى تمنعني من ذلك؟ قال الحارس إنني مأمور بتنفيذ أمر الملك. فاستشاط الأمير غضبا وضرب الحارس بالسوط ضربا مبرحا وأهانه أشد إهانة، ثم حاول الدخول من جديد. فهبَّ الحارس الجريح وتصدّى له مرة أخرى وقال: لن أسمح لك بالدخول لأن الملك أمرني بذلك ولا بد لي من أن أنفّذ أمره. فاستشاط الأمير غضبا مرة أخرى وأشبع الحارس ضربا غير أن الحارس لم يسمح له بالدخول هذه المرة أيضا. كان الملك "زار" يشاهد كل هذا من داخل مقصورته، فإذ به يخرج ويتوجه إلى الأمير ويسأله عما جرى. فقال الأمير إن هذا النذل لا يسمح لي بالدخول، ومن هو حتى يمنعني؟ فسأله الملك: ماذا قال لك؟ أجاب الأمير: قد منعني قائلا إن الملك أمره ألا يسمح لأحد بالدخول. فقال الملك: إذا كان الحارس قد قال لك ذلك وأخبرك أنه أمر من الملك ومع ذلك حاولت التجاوز عنه فأنت الذي عصيت أمر الملك واعتديت على حارس مأمور منه. ثم توجه الملك إلى الحارس وقال: خذ السوط واضرب بها ابني. فما كان من الأمير إلا أن قال على الفور، أيها الملك: إن قانون هذا البلد لا يسمح لجندي عادي أن يضرب الضابط الأعلى منه رتبة. فوهب الملك للحارس رتبة الضابط وقال

مخاطبا إياه: يا ضابط فلان خذ السوط واضرب بها ابني. فقال الأمير مرة أخرى: هناك قانون آخر أيضا يمنع الضابط أن يضرب اللواء. فمنح الملك للحارس رتبة اللواء وقال مخاطبا إياه: يا لواء فلان خذ السوط واضرب بها ابني. فصرخ الأمير مرة ثالثة وقال: هناك قانون آخر أيضا يمنع غير الأمير من أن يضرب الأمير. فخلع الملكُ على الحارس مرتبة الأمير وقال مخاطبا إياه: يا أمير فلان خذ السوط واضرب بها ابني لأنه عصى أمري. فهكذا أصبح هذا الحارس العادي أميرا في لمح البصر و لم يكن هناك أحد لينتزع منه الأمارة.

أفلا تعطون سيدنا محمدا المصطفى ﷺ حتى ذلك الحقّ الذي كان يتمتع به ملك روسيا؟ لقد سمى رسولُ الله المسيحَ المقبل "نبي الله" أكثر من مرة. والآن أقول لكم يا معارضينا: انتزعوا منه هذا اللقب إن كنتم على ذلك من القادرين!

أما فيما يتعلق بالدجالين الثلاثين، فاقرؤوا ما ورد في "شرح صحيح مسلم بهذا الشأن، حيث جاء: "هذا الحديث ظهر صدقه فإنه لو عدّ مَن تنبأ من زمنه ﷺ إلى الآن لبلغ هذا العدد ويعرف ذلك من يطالع التواريخ." (شرح صحيح مسلم، المسمى بـــ إكمال إكمال المعلم للإمام أبي عبد الله الأُبيّ، ج٧ ص٢٥٨)

من غرائب قدر الله أن عدد الكذابين الدجالين قد بلغ إلى ثلاثين قبل بعثة الصادق. وإذا قلتم: من الممكن أن يظهر بعض الكذابين الآخرين أيضا إلى زمن الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، قلت: إذا كان الأمر كذلك فلا اعتبار للوعد المذكور في الحديث بل سوف يصبح الحديث عرضة للشك والريبة. كلا! بل يقول السيد نواب صديق حسن خان وكان معاصرا لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام:

"النبأ الذي كان النبي ﷺ قد قام به عن ظهور الدجالين في هذه الأمة قد تحقق واكتمل العدد." (آثار القيامة في حجج الكرامة ص٢٣٩)

يتضح من هذا الكلام أنه، بحسب منطوق هذا الحديث، لن يظهر الآن دجال أو متنبئ كاذب. وبما أن وقت ظهور المسيح الموعود كان قد أتى لذا حبُست الألسنة كلها من الكلام، وساد الأمة سكوتُ الانتظار، فانتظرت ساكتة واجمة.

كمال البناء يعني كمال الشريعة

وهناك حديث آخر يقدمه معارضونا ويقولون بناء عليه: هل بقي بعد هذا الحديث مجال للشك في انقطاع النبوة نهائيا؟ فإنهم يركزون كثيرا على هذا الحديث ويقولون: لم يبق مجال لظهور نبي ولو من الأمة المحمدية. فقد جاء في الحديث:

"عن أبي هريرة ؓ أنّ رسول الله ﷺ قال: مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل قصر أحسن بنيانه فترك منه موضع لبنة. فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة... فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة فتم بي البنيان وخُتم بي الرسل. وفي رواية قال: فأنا اللّبنة وأنا خاتم النّبيّين." (انظر: البخاري كتاب المناقب، مسلم كتاب الفضائل، الترمذي كتاب المناقب، ومسند أحمد بن حنبل، كنـز العمال، تتمة الإكمال من فضائل متفرقة تنبئ عن التحدث بالنعم)

يقول العلامة ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث:

"فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة." (فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ)

ولكنهم لا يقدمون هذا الشرح لأن ابن حجر العسقلاني لا يندرج في قائمة وضعوها للسلف الصالح والمفكرين القدامى والفلاسفة العظام. غير أن اسم العلامة ابن خلدون يقع ضمن قائمتهم بلا شك. فلِنَرَ ما يقوله هو في هذا الصدد:

"فيفسرون خاتم النبيين باللبنة التي أكملت البنيان. ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة." (مقدمة ابن خلدون ص٣٠٠)

هناك حديث آخر يعارضوننا بناء عليه وهو:

"عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال، قال رسول الله ﷺ لعليّ: أنت مني بمنــزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وفي رواية للبخاري: إلا أنه ليس نبي بعدي. وفي رواية لمسند: إلا أنك لست بنبي." (مسلم كتاب الفضائل، البخاري كتاب الفضائل، مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب)

المعنى اللغوي لـ "بعد"

الحقيقة أن النبي ﷺ خلف سيدنا عليا رضي الله عنه على المدينة قبل سفره لغزوة تبوك. وكان سيدنا علي رضي الله عنه مجاهدا عظيما كما هو معروف وكان قد اشترك في جميع الغزوات السابقة مع النبي ﷺ. فكان للتخلف عن غزوة تبوك تأثير محزن مضاعف في نفسه، ظنّا منه أنه سوف يحرم من الجهاد من ناحية، ومن ناحية أخرى قد يظن الناس أن الرسول ﷺ غير راض عنه. فتوسل إلى النبي ﷺ بإلحاح وقال ما معناه: أتتركني بين النساء والصبيان يا رسول الله؟ وبطبيعة الحال كان أسلوبه مثيرا لحب النبي ﷺ له. فقال له النبي ﷺ: لا تحزن يا علي، فأنت مني بمنــزلة هارون من موسى. وكان المراد أنه عندما سافر موسى خَلَف هارونَ عليهما السلام في قومه بسبب

ثقته فيه وحبه له وليس لأي سبب سلبي. كذلك أنا أيضا أخلفك بسبب ثقتي فيك وتقديري لك، وليس لأي سبب سلبي، غير أنك لن تكون نبيا أثناء غيابي. هذا هو المعنى. ولقد ورد هذا الحديث في صحيح البخاري بطرق أخرى أيضا ولكن المعنى يبقى نفسه.

يصر العلماء اليوم ويقولون: إن "بعدي" هنا تفيد الـــ "بعد" إلى الأبد، ولا تعني الغياب المؤقت الذي قال فيه النبي ﷺ قولته هذه. ولكننا نتجه إلى أحد من صلحاء الأمة الكبار الذي يعيرون لكلامه أذنا صاغية أو يدّعون بذلك على الأقل، والذي ذُكر اسمه في الكتيب الحكومي ضمن قائمة مفكري الإسلام العظام، وهو حضرة ولي الله المحدث الدهلوي، يقول في شرح هذا الحديث ما تعريبه:

"إن مدلول هذا الحديث إنما هو جعلُ سيدنا علي رضي الله عنه نائبا أو أميرا على المدينة أثناء غزوة تبوك فقط، وتشبيه استخلافه باستخلاف هارون عليه السلام لموسى لدى سفره إلى الطور. و"بعدي" هنا تفيد "غيري"، ولا تعني الـــ "بعد" من حيث الزمن، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾ (الجاثية: ٢٤)، فقوله تعالى ﴿مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾ يعني "من غير الله". (قرة العينين في تفضيل الشيخين لولي الله الدهلوي ص٢٠٦)

أقول: لاحظوا أن حضرته يقدم الحجة أيضا من القرآن ويوضح أن "بعد" لا تعني دائما الـــ "بعد" من حيث الزمن، بل تعني "غير" أيضا. إذ لا يمكن أن يُطلق معنى البعد الزمني على الله عز وجل بشكل من الأشكال. فثبت على وجه القطعية أنه ليس الفصحاء العرب فقط بل الله عز وجل أيضا قد استخدم في كلامه كلمة "بعد" بمعنى "غير".

يضيف حضرة ولي الله الدهلوي ويقول:

"وليس المراد هنا البَعْدية الزمنية، ذلك لأن هارون عليه السلام ما عاش بعد موسى عليه السلام حتى تثبت البعدية الزمنية فيما قيل لسيدنا علي رضي الله عنه." (المرجع السابق)

ما أروعها من حجة! وما أجمله من كلام! إن أهل المعرفة والتقوى الذين كانوا يحبون أمر رسول الله وكانوا يعشقون أقواله صلى الله عليه وسلم، كانوا يدرسون الأقوال بنظرة عميقة، ولا سيما الأحاديث إذ كانوا يدرسونها بحب صادق، فكانوا يصلون في الحقيقة إلى لآلئ المعارف الدقيقة مثلما توصل إليها حضرة ولي الله إذ قال: ليس المراد هنا البعدية الزمنية لأن هارون عليه السلام ما عاش بعد موسى عليه السلام حتى تثبت البعدية الزمنية فيما قيل لسيدنا علي رضي الله عنه. إنه يقدم مثال شخص كانت دائرة بعديته مقتصرة على زمنه هو فقط. وإن هارون ما عاش بعد موسى عليه السلام لذا فإن هذه البعدية لن تمتد إلى أكثر من دائرتها المحددة ولا يستطيع أحد تمديدها أكثر من ذلك.

حاجة العصر إلى نبي

هناك حديث آخر جدير بالانتباه ويركّز عليه معارضونا كثيرا، ولكنني أقدمه فيما يلي بسنده وتعليق الإمام الترمذي عليه، فقد جاء فيه:

"عن بكر بن عمرو عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب. هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مشرح بن هاعان." (الترمذي أبواب المناقب، باب مناقب عمر رضي الله عنه)

إنهم يقدمون عادة الجزء الأول من هذا الحديث ويخفون الجزء الثاني. والحجة التي يقيمونها في زعمهم هي: بما أن سيدنا عمر رضي الله عنه عاش بعد

وفاة النبي ﷺ و لم يُبعَثْ نبيّا فثبت أنه لا يمكن أن يكون هناك نبي بعد الرسول ﷺ بشكل من الأشكال.

يورد الإمام الترمذي هذا الحديث ثم يعلق عليه قائلا:

"هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مشرح بن هاعان."

وحينما نبحث في مصداقية مشرح بن هاعان ومكانته عند علماء الحديث نجد في كتاب موثوق به يبحث في الرواة، ما يلي:

"قال ابن حبان في "الثقات": يخطئ ويخالف، ثم قال في "الضعفاء": يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها، فالصواب ترك ما انفرد به. وحكى العقيلي عن موسى بن داود: بلغني أنه كان في جيش الحجاج الذين حاصروا ابن الزبير ورموا الكعبة بالمنجنيق." (تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج٥ ص٤٢٥-٤٢٦)

هل يبقى أي اعتبار لرواية رواها مشرح بن هاعان؟ ثم لا يقتصر الأمر على هذا بل هناك أحاديث أخرى تتناول الموضوع بشرح أكثر. فقد جاء في رواية أخرى:

"لو لم أُبْعَثْ لبُعِثْتَ يا عمر." (مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح ج١٠ ص٤٠٣)

وفي رواية أخرى أيضا: "لو لم أُبْعَثْ فيكم لبُعِثَ عمرُ فيكم." (كنوز الحقائق للإمام عبد الرؤوف المناوي، ج٢ ص٧٤)

فبهذا الحديث اتضح الأمر أكثر بأن "بعدي" في الحديث السالف الذكر لا تفيد إلا "غيري".

دليل آخر على بقاء النبوة

وإليكم الآن حديثا آخر يحسم الموقف في قضية "البعدية الزمنية" دون أن نقول شيئا من عند أنفسنا.

يقول النبي ﷺ:

"عن ابن عبّاس قال: لَمّا مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وقال: إنّ له مرضعا في الجنّة، ولو عاش لكان صدّيقا نبيّا. ولو عاش لعتقت أخواله القبط وما استرقّ قبطيّ." (ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله ﷺ وذكر وفاته)

يقول معارضون عن هذا الحديث إن النبي ﷺ قال: "لو عاش لكان صدّيقا نبيّا"، ولكن الله توفاه حتى لا يصبح نبيّا. وهذه هي الحكمة وراء وفاته رضي الله عنه في الطفولة المبكرة. ولكن ليس قولهم هذا إلا كذب ومخادعة، ولا يُظهِر الحكمةَ الكامنةَ في الحديث وإنما يوجه هجمة قذرة إلى فصاحة النبي ﷺ وبلاغته.

خلفية هذا الحادث هي أن إبراهيم رضي الله عنه توُفِّي في بداية عام ٩هـ بينما نزلت آية خاتم النبيين عام ٥ هـ، أي بحوالي أربعة أعوام قبل وفاة إبراهيم رضي الله عنه. لا يصعب على أي شخص يملك قليلا من العقل والفهم أن يستنتج أنه إذا كان النبي ﷺ يفهم من آية خاتم النبيين أن النبوة قد انقطعت بصورة دائمة وبكل أنواعها، لما قال: "لو عاش لكان صديقا نبيا." كان من الممكن أن يقول بأنه لم يعش حتى لا يصبح نبيا، ولكنه لم يقل هذا بل قال: لو عاش لكان صديقا نبيا، في حين كان الأجدر والأفصح أن يقول: لو عاش إبراهيم ولو إلى ألف سنة لما كان نبيا، لأن النبي الذي أخبره الله تعالى بأنه لن يأتي بعده نبي إلى يوم القيامة، كان من الممكن أن يقول – حين وفاة ابنه الغالي أمام عينيه – على أكثر تقدير بأن ابني هذا صبي يملك فطرة طاهرة وطيبة ونقية صالحة للغاية ولكنه مهما عاش ما كان له أن يكون نبيا لأن الله تعالى قد أخبرني أنه لن يأتي في

الأمة نبي إلى يوم القيامة. لذا فلو عاش ابني هذا لما صار نبيا مهما عاش طويلا. ولكن الرسول ﷺ لم يقل هذا.

وهناك رواية أخرى ممتعة أيضا تحل هذه المسألة إلى الأبد. فلقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

"لما توفي إبراهيمُ أرسل النبيّ ﷺ إلى أمه "مارية" فجاءته وغسلته وكفّنته، وخرج به وخرج الناس معه فدفنه. وأدخل ﷺ يده في قبره فقال: أما والله إنه لنبيّ بن نبي." (الفتاوى الحديثية لأحمد شهاب الدين المكي، ص١٧٦)

وبما أن سيدنا علي رضي الله عنه كان من أهل البيت فروايته أوثق وأجدر بالاعتبار.

المعنى الحقيقي لـ "لا نبي بعدي"

إن حادث وفاة سيدنا إبراهيم وقع بحوالي أربع سنوات بعد نزول آية خاتم النبيين، ولا بد أن يكون العلماء الآخرون أيضا قد انتبهوا إلى هذا الأمر وقرؤوا رواية رواها سيدنا علي رضي الله عنه. فماذا يستنبط منها العلماء؟ إليكم ما قاله العلامة ملا علي القاري رحمه الله في هذا الصدد:

"ومع هذا لو عاش إبراهيم وصار نبيا، وكذا لو صار عمر نبيا لكانا من أتباعه عليه الصلاة والسلام كعيسى والخضر وإلياس عليهم السلام. فلا يناقض قوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾ إذ المعنى أنه لا يأتي نبي بعده ينسخ ملته و لم يكن من أمته." (الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لملا علي القاري ص١٩٢)

نعود الآن إلى ما قيل في الكتيب الحكومي وما افتروه فيه من كذب إذ قالوا: إن السلف الصالح كلهم ظلوا متفقين على الدوام على أن كلمة "خاتم النبيين" لا تعني شيئا إلا أن النبوة قد انقطعت نهائيا بكل أنواعها.

أما فيما يتعلق بقولهم إن علماء الأمة القدامى كانوا يعتقدون - من منطلق الحديث "لا نبي بعدي" وغيره - بلا أدنى شك أنه لن يأتي بعد رسول الله نبي أبدا، فقد قرأت على مسامعكم بعض المقتبسات من كتب السلف في هذا الخصوص، ولكنها لم تتناول الكلمات "لا نبي بعدي" فيمكن أن يتساءل أحد: قد لا يكون العلماء على علم بها رغم كونهم علماء كبارا. لذا سوف أقتبس لكم الآن بعضًا من أقوال العلماء القدامى حيث يذكر كل واحد منهم أنهم كانوا على علم بتلك الأحاديث ولا سيما حديث "لا نبي بعدي". ومع ذلك ماذا استنتجوا منه، وماذا فهموا من القرآن والحديث؟

قول السيدة عائشة رضي الله عنها

ففي هذا الخصوص أقدم أولا قولا للسيدة عائشة رضي الله عنها يعرفه العلماء جيدا. الكتيب الذي نشرته حكومة باكستان يعلن أنه لم يحدث منذ زمن سيدنا رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا أن استنبط أحد من صلحاء الأمة من "لا نبي بعدي" غير ما يستنبطه مؤلفو هذا الكتيب، ولكن الحقيقة على عكس ذلك إذ تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "قولوا خاتم النبيين، ولا تقولوا لا نبي بعده." (الدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٦١٨)

لماذا رأت عائشة رضي الله عنها حاجة إلى هذا الشرح والإيضاح؟ من الواضح جليا أنها خشيت أن يسيء البعضُ فهمه، وكانت تعرف أيضا أن النبي ﷺ لم يقصد من "لا نبي بعدي" أنه لن يكون بعده نبي من أي نوع.

أراء السلف الصالح

يورد الإمام ابن قتيبة رحمه الله (المتوفى ٢٧٦هـ) قول السيدة عائشة رضي الله عنها ويقول معلقا عليه:

"وليس هذا من قولها ناقضا لقول النبي ﷺ: لا نبي بعدي، لأنه أراد لا نبي بعدي ينسخ ما جئت به." (كتاب تأويل مختلف الأحاديث ص١٢٧)

وهذا هو المعتقد نفسه الذي يعتقده سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

كان الإمام محمد طاهر (المتوفى عام ٩٨٦ هـ) من الصلحاء المعروفين، ويقول في شرح قول السيدة عائشة رضي الله عنها:

"هذا ناظر إلى نزول عيسى وهذا أيضا لا ينافي حديث "لا نبي بعدي" لأنه أراد لا نبي ينسخ شرعه." (تكملة مجمع بحار الأنوار، لمحمد طاهر الغجراتي، ص٥٠٢)

كان الإمام طاهر يرى سببين احتاجت السيدة عائشة رضي الله عنها من أجلهما إلى هذا الشرح.

أولا: أنه لو ظل الناس يقولون "لا نبي بعدي" هكذا، لسدوا – حسب زعمهم – إمكانية عودة عيسى الموعود أيضا.

لاحظوا كم يختلف رأي شخص صالح تقي عن رأي العلماء الحاليين! عندما يقول المشايخ المعاصرون: لابد أن يأتي عيسى ولا يمكن أن يأتي شخص آخر، يفعلون ذلك بإلباس الكلمات العربية معانيَ خاطئة لا تطيقها اللغة أبدا. لأنه لو كانت كلمة "لا" في قوله ﷺ: "لا نبي بعدي" تفيد نفي الجنس لكان المعنى أنه لن يأتي نبي من أي نوع. ومن المعروف لدى العرب كافة أن "لا" لو جاءت نافية للجنس لسدّت طريق ذلك الجنس كله، دون أن تسمح مجيء نبي من أي نوع، قديما كان أم جديدا. وتجدر الإشارة إلى أن النبي ﷺ لم يقل: "لا يكون بعدي نبي" بل قال: "لا نبي بعدي". وهناك فرق واضح بين القولين. وبما أن النبي لم يقل: "لا

يكون بعدي نبي" لذا فإن السيدة عائشة رضي الله عنها نهتْ عن ذلك أولا.

وثانيا: نهتْ عن هذا الاستنباط لسبب آخر أيضا وهو: "لأنه أراد لا نبي ينسخ شرعه."

يشرح الشيخ عبد الوهاب الشعراني (المتوفى ٩٧٦ هـ) حديث "لا نبي بعدي" ويقول:

"فقوله ﷺ لا نبي بعدي ولا رسول بعدي، أي ما ثمّ مَن يشرع بعدي شريعة خاصة." (اليواقيت والجواهر للشعراني ج٢ ص٣٥)

ولكن عندما يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام الكلام نفسه يستاؤون منه كثيرا.

هذا، وهناك عالم معترف بعظمته في القارة الهندية، وهو شارح معروف لمشكاة المصابيح اسمه السيد محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، يقول:

"ورد "لا نبي بعدي" ومعناه عند العلماء أنه لا يحدث بعده نبي بشرع ينسخ شرعه." (الإشاعة لأشراط الساعة ص١٤٩)

الحق أن جميع العلماء القدامى والسلف الصالح ظلوا على الدوام يستنبطون نفس المعنى الذي استنبطه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. ولكنه من الظلم والجور حقا أن حضرته عليه السلام عندما يستنتج هذا المعنى يصبح كافرا، وإذا استنبط العلماء القدامى المعنى نفسه يبقون مؤمنين بل يسمّون أقطاب الأقطاب ويحتلون رأس قائمة أولياء الأمة لدرجة يضطر الكتيب الحكومي أيضا للاعتراف بكونهم العلماء المعترف بهم ومن مفكري الإسلام الكبار، بما فيهم ولي الله الدهلوي الذي يقول:

"فعلِمنا بقوله عليه الصلاة والسلام: لا نبي بعدي ولا رسول، وأن النبوة قد انقطعت والرسالة، إنما يريد بها التشريع." (قرة العينين في تفضيل الشيخين لولي الله الدهلوي ص٣١٩)

وبالإضافة إلى ذلك إن السيد الحافظ محمد برخوردار (وهو ابن الشيخ نو شاه غنج قدس الله سره، إمام المدرسة النوشاهية القادرية) الذي يحظى باحترام كبير في القارة الهندية يكتب - بهامش كتاب "النبراس" للعلامة عبد العزيز الفرهاري - شارحًا الحديث "لا نبي بعدي" ويقول:

"والمعنى لا نبي بنبوة التشريع بعدي، إلا ما شاء الله من الأنبياء الأولياء." (شرح لشرح العقائد المسمى بالنبراس، ص٤٤٥)

وماذا كان يعتقد به أهل الحديث إلى زمن بعثة سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود الطَّيِّلاً؟ ففي هذا الصدد يبين السيد نواب نور الحسن خان بن نواب صديق حسن خان اعتقاده عن "لا نبي بعدي" ويقول:

"الحديث "لا وحي بعد موتي" لا أصل له، غير أنه ورد "لا نبي بعدي"، ومعناه عند أهل العلم أنه لن يأتي بعدي نبي بشريعة تنسخ شريعتي." (اقتراب الساعة ص١٦٢)

لقد قال حضرته هنا: "عند أهل العلم"، والكلمات نفسها قد استخدمها حضرة ولي الله الدهلوي والعلامة البرزنجي حين قالا: "معناه عند العلماء..." مما يعني أن بعض الناس كانوا قد بدؤوا بتشويه معاني الأحاديث في ذلك الزمن، وكان الناس قد انقسموا إلى حزبين. أحدهما يضم العلماء الربانيين من أهل العلم والمعرفة. وأما الثاني فقد شمل علماء السوء من عامة الناس الذين سماهم أحد من الصلحاء فيما سبق بالجهلة البله، والذين أشاعوا في الناس فكرة أنه لن يكون هناك نبي من أي نوع

بعد رسول الله ﷺ فاضطر العلماء الربانيون للتصريح بأن أهل العلم والمعرفة يفهمون من الحديث أن النبوة التي انقطعت إنما هي نبوة التشريع.

هناك حديث آخر أيضا يلقي الضوء على معنى كلمة "بعد". وورد شرحه أيضا في كتاب الفتوحات المكية أما كلمات الحديث فهي كالتالي:

عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال: إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده. (البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ)

لاحظوا كيف بيّن النبي ﷺ معنى حكيما وبليغا لقوله: "لا نبي بعدي" بقول آخر له ﷺ: "فلا قيصر بعده"، و"فلا كسرى بعده". ثم شرح من خلال كلامه أن كلمة "لا" في مثل هذه المواضع لا تفيد نفي الجنس بل تفيد أنه لن يكون هناك أحد بهذه المنـــزلة والمرتبة. ومن المعلوم أن كسرى حين هلك بعد زمن النبي ﷺ كان هناك كسرى آخر، وكذلك حين هلك قيصر كان هناك قيصر آخر، وهكذا كان هناك قيصر بعد قيصر إلى ما يزيد على ألف سنة. ومن ناحية ثانية من المستحيل أن يكون كلام النبي ﷺ خطأ. يستنبط الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي المعنى نفسه ويقول:

"فما ارتفعت النبوة بالكلية، ولهذا قلنا: إنما ارتفعت نبوة التشريع، فهذا معنى لا نبي بعده... فعلمنا أن قوله: لا نبي بعده أي لا مشرع خاصة، لا أنه لا يكون بعده نبي، فهذا مثل قوله: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده." (الفتوحات المكية ج٣ ص١٠٣)

تلبيس آخر

لقد ورد إعلان آخر في الكتيب الحكومي حيث قدموا أقوال الرسول ﷺ بصورة خاطئة ثم أسسوا عليها - حسب زعمهم - البنيان العقلي والنقلي لإعلانهم، محاولين إسناده إلى الشريعة. غير أنهم لم يقدموا على ادعائهم أي برهان بل اكتفوا بالقول إن إعلانهم مبنيّ على دراستهم للقرآن الكريم. وما هي حصيلة دراستهم القرآنية؟ يقولون في هذا الصدد:

"عندما نطالع بتأمل آيات القرآن الكريم المتعلقة بمجيء نبي جديد تتبين لنا حقيقة بأن نبيا جديدا إنما يُبعث حين تكون تعاليم الأنبياء السابقين قد دخلت طيّ النسيان بشكل عام، أو تنسخ أو تتعرض للتحريف الشديد، أو كانت بحاجة إلى تعديلها أو تدوينها مجددا بسبب تغييرات زمنية وغيرها. ولكن بما أن تعاليم النبي الأكرم ﷺ قطعية وعالمية ومصونة صيانة كاملة فلا مجال ولا حاجة لنبي جديد إطلاقا." (الكتيب الحكومي ص٥)

ويقولون أيضا: "الحصيلة الطبيعية للإيمان (أي الإيمان بختم النبوة - الناقل) هي أن تعاليم رسول الله ﷺ جامعة وقطعية وكاملة." (المرجع السابق)

صحيح تماما أن تعاليم سيدنا محمد المصطفى ﷺ جامعة وقطعية وكاملة، وصحيح أيضا أن القرآن الكريم كتاب محفوظ، لم يجد التحريف طريقه إليه، وما أضيف إليه شيء و لم ينقص منه؛ والذين قاموا بتصريحات افتراضية في هذا الصدد لم يكترث بهم أحد. فكلامهم إلى هذا الحد صحيح تماما. ولكن لا يصح القول إطلاقا بأن مطالعة القرآن الكريم تبرهن على أن الله لم يبعث نبيا قط إلا عند ظهور الأسباب الأربعة المذكورة أعلاه فقط.

عندما نطالع القرآن من هذا المنطلق نجد الوضع مختلفا تماما عما يدّعون. أولا وقبل كل شيء ليس من الصحة في شيء القول بأن الحصيلة

الطبيعية للإيمان بختم النبوة فقط هي أن تعاليم الرسول ﷺ جامعة وقطعية وكاملة. ذلك لأن هناك آيات كثيرة أخرى أيضا - ما عدا آية خاتم النبيين - تؤدي إلى نتيجة غير التي استنتجوها في الكتيب الحكومي بما فيها الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٤). ففي هذه الآية تم الإعلان عن تكميل الشريعة، وفي آية أخرى وعد الله تعالى بحفاظة القرآن الكاملة. وكل هذه الأمور واردة في القرآن في مواضع مختلفة.

إذن فليست صفة "خاتم النبيين" وحدها من صفات النبي ﷺ التي تثبت من القرآن بل هناك صفات كثيرة أخرى أيضا تتجلى لنا من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وفيما يتعلق بإعلان تكميل الشريعة فلا نختلف معهم أبدا. يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام:

"لقد أعلن القرآن الكريم بنفسه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾.. أي يجب أن تتمسكوا بالحقيقة التي تتضمنها كلمة "الإسلام"، والتي قد فصّلها الله تعالى بنفسه لدى شرحه لكلمة "الإسلام". ففي هذه الآية صراحةٌ أن القرآن الكريم وحده أعطى تعليما كاملا، وأن عصر القرآن وحده كان جديرا بأن يعطى فيه تعليم كامل. فإن هذا الإعلان عن التعليم الكامل الذي قام به القرآن كان من حقه وحده، ولم يقم أي كتاب سماوي آخر بمثل هذا الإعلان." (مقدمة البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية ج٢١ ص٤)

فباطل قولهم بأن الأحمدية - برفضها المعاني التي اخترعوها من عند أنفسهم - قد أنكرت (والعياذ بالله) كون القرآن كاملا. إنه استنتاج

باطل تماما وكذب شنيع. يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام:

"إن كلمة "خاتم النبيين" التي أطلقت على النبي ﷺ تقتضي بحد ذاتها - بل أُودعت هذا المعنى - أن يكون الكتاب الذي نزل عليه ﷺ كتابا كاملا، وأن توجد فيه الكمالات كلها، وبالفعل توجد فيه كل هذه الكمالات." (الملفوظات ج٣ ص٣٦)

ما أعظمه من استنباط وما أروعه! وكم هو جميل كلام حضرته عليه السلام في بيان كمال القرآن الكريم إذ يقول إنه من مقتضيات كونه ﷺ خاتم النبيين أن ينـــزل عليه تعليم يكون خاتم التعاليم أيضا، وإلا فلا يتحقق كونه خاتم النبيين. يقول عليه السلام من منطلق هذا المعنى:

"القرآن معجزة لم ولن يكون لها مثيل. إن باب فيوضه وبركاته مفتوح إلى الأبد. وسيبقى متميزا ومتلألئا في كل زمان كما كان في زمن سيدنا ومولانا محمد ﷺ." (الملفوظات ج٣ ص٥٧)

هناك أقوال كثيرة لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بهذا الخصوص لا يمكن بيانها لضيق الوقت حيث مدح القرآن الكريم وتعاليمه الكاملة وبيّن بالإسهاب كونه محفوظا ومصونا. وهذا ليس ادعاء فارغا بل كل إنسان عاقل في العالم يضطر للاعتراف بصدقه.

أما تصريحهم بأنه لم يُبعث نبيٌّ إلا بسبب هذه الدواعي الأربعة المذكورة أعلاه، فهو كذب صريح يرفضه القرآن رفضا باتّا ويذكر أسبابا للرفض أيضا. فيقول في ذكر بعثة النبي ﷺ: ﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الجمعة ٣-٤).

أي من واجباته ﷺ أنه يتلو عليهم آياته ﷻ، أي يعلّمهم آيات الله التي تنـــزل عليه، ويزكيهم، لأنه مزكّ وقد أعطِي قدرة على التزكية فيطهر الناس ويزكيهم. ويعلّمهم الكتاب.. أي لو لم يعلّمكم الكتاب، أيها المؤمنون، لنسيتموه و لم تستطيعوا فهمه بأنفسكم.. ثم يبين حكمته أيضا.

فلو كان الكتاب وحده كافيا لما كانت هناك حاجة إلى بعثة الأنبياء أصلا، وبالتالي كان من الممكن أن ينـــزّل الله كتابا من السماء مباشرة فيقرأه الناس بأنفسهم. كما تلقى سيدنا موسى عليه السلام الألواح بصورة جاهزة، كذلك كان من الممكن أن تعطى كلُّها للقوم أيضا دفعة واحدة حتى يتطهروا بأنفسهم ويستوعبوا مباشرة ذلك التعليم وحكَمه. ولكن هذا لم يحدث قط ولن يحدث أبدا.

فإذا كان معارضونا يرفضون هذه الحقيقة فليقارنوا بين المسلمين في زمن النبي ﷺ والمسلمين في زمننا هذا، ولسوف يعرفون الأمر على حقيقته. إنهم يعترفون أن الكتاب موجود كما كان في أول أمره، و لم يحدث فيه أدنى تغير. نحن أيضا نعترف بذلك ونقول إن الكتاب كامل و لم يتغير منه شيء ظاهريا. ولكن ماذا عن حال المسلمين؟ هل بقوا على ما كانوا عليه في زمن النبي ﷺ؟ وإذا كان الجواب بالنفي - كما هو الحال في الحقيقة - فلماذا هذا الفرق الكبير؟ الفرق الوحيد هو أن المزكّي العظيم، ذلك المزكّي الذي لم ولن يُبعث مزكّ مثله، ذلك النبي العظيم الذي كان يعلّمهم الكتاب والحكمة لم يعد موجودا فيهم. هذا هو الحرمان الذي أصاب الأمة مثل مرض عضال. هذا هو الحرمان الذي حرم الأمة من كل خير وفضيلة وشرف، لأن البعد التدريجي من النبي ﷺ كان لا بد أن يؤدي بهم إلى هذه الحالة في نهاية المطاف لتصل الأمة إلى هذه الحال. فلو كان الكتاب وحده كافيا لما وصلت الأمة إلى هذه الدرجة.

التاريخ الذي يقدمه القرآن أيضا يكذب التصريحات الواردة في البيان الأبيض المزعوم. إذ يقول الله ﷻ في كتابه المجيد: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام :١٥٥).

ثم يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة:٨٨).

نعرف عن سيدنا موسى أن التوراة نزلت عليه كنبيّ، ثم بُعث سيدنا هارون حسب طلب موسى عليهما السلام. فهل كانت التوراة قد حرّفت خلال فترة وجيزة بين نزولها على موسى وبعثة هارون؟ هل كان كلام الله ذلك قد غُيِّر؟ أم هل كان موسى عليه السلام قد نسي ذلك التعليم؟ كلا، لا يذكر القرآن سببا واحدا من الأسباب المذكورة في البيان الأبيض المزعوم.

ثم بُعث داود عليه السلام. وإذا قالوا إن هناك فترة زمنية لا بأس بها بين موسى وداود عليهما السلام، وكان داود قد بُعث بعد أن حُرّف التعليمُ وبُدّل، قلت: حسنا، أين الفاصل الزمني بين سليمان وداود عليهما السلام؟ لماذا بُعث سليمان بعد داود عليهما السلام؟ وأي نوع من التحريف قد تعرض له الزبور في حياة داود عليه السلام؟ وأي تحريف حدث بعد الإصلاح الذي قام به داود عليه السلام في العهد القديم حسب زعمهم؟ إن أفكارهم هذه إذن باطلة ولاغية كلها، ولا حقيقة لدعواهم إطلاقا.

نتوجه الآن إلى زمن سيدنا إبراهيم ونرى أن ابنه إسماعيل عليهما السلام كان قد بُعث بعده. فأين الفارق الزمني بينهما؟ ثم أي تعليم من تعاليم إبراهيم عليه السلام كان قد مُحي أو جُعل في طي النسيان أو حُرّف أو بُدّل حتى اقتضت الحاجة إلى بعثة إسحاق عليه السلام بعده؟ ثم أعيد التاريخ المؤلم نفسه - على حد قولهم - إذ لم تمض على وفاة إسحاق عليه السلام إلا فترة وجيزة حتى حرّف قومُه تعليمَه - والعياذ بالله - واقتضى الأمر بعثةَ يعقوب عليه السلام.

ثم حدث الأمر نفسه إذ إن سيدنا يعقوب عليه السلام كان حيّا حين حُرِّف تعليمُه حتى وجبت بعثة يوسف عليه السلام. فكافة التصريحات التي قاموا بها في الكتيب الحكومي باطلة لا أساس لها من الصحة إطلاقا، وليست إلا كلاما مزخرفا نسبوا به إلى القرآن الكريم أقوالا باطلة دون وازع ورادع، وهذه هي حقيقة هذا الكتيب ليس إلا.

الزمان يدعو مصلحًا سماويا

وفيما يتعلق بكون القرآن غير مبدل وغير محرف فنؤمن نحن الأحمديين بذلك إيمانا أقوى من غيرنا. أما قولهم بأنه لا حاجة إلى مصلح إطلاقا بسبب كون القرآن غير مبدّل فهذا ما يرفضه القرآن بنفسه رفضا باتّا. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾. (الفرقان:٣١)

كم هي أليمة الشكوى التي يرفعها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى عن الذين يأتون في أمته لاحقا إذ يقول: ﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾. كم هي موجعة هذه الشكوى التي يشكوها النبي من قومه! والمعلوم قطعا من هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الذي هو سيد البشر وأفضل الأنبياء يشكو إلى الله عز وجل فيما يتعلق بهذا الكتاب الكامل. ما

المراد من هذه الآية وكيف سيهجر الناسُ القرآنَ الكريم؟ يوضح النبي ﷺ هذا الأمر أيضا بنفسه فيقول:

"يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه." (مشكاة المصابيح كتاب العلم الفصل الثالث، ورواه البيهقي في شعب الإيمان، وكنـز العمال ج١١ باب تتمة الفتن من الإكمال)

السؤال الآن هو: هل كان هذا قد حدث قبل ظهور سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أم لا؟ وهل كان الناس فعلا قد اتخذوا القرآن مهجورا أم لا؟ فإذا كان كل ذلك قد حدث قبل بعثته عليه السلام فلا يبقى أي أساس لزعمهم القائل بأن القرآن الكريم موجود دون أي تحريف وتغيير، فلا حاجة لمصلح.

يقول السيد نور الحسن خان الذي سبق ذكره:

"لم يبق الآن من الإسلام إلا اسمه فقط، ولم يبق من القرآن إلا رسمه. المساجد عامرة ظاهريا ولكنها خراب من الهدى تماما. علماء الأمة هم شرّ مَن تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتن وإليهم تعود." (اقتراب الساعة ص١٢)

وبالإضافة إلى ذلك فإن المولوي ثناء الله الأمرتساري الذي كان من أعدى أعداء سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام اضطر للاعتراف التالي:

"الحق أن القرآن قد ارتفع من بيننا تماما، ونؤمن بالقرآن بصورة افتراضية فقط، لكن والله نعتبره من قرارة القلب شيئا تافها جدًّا وكتابا بلا طائل." (جريدة أهل الحديث عدد ١٤يونيو/حزيران ١٩١٢م ص١٢)

القرآن الكريم موجود بين المسلمين المعاصرين دون أدنى تغير كما يقول الكتيب الحكومي، الأمر الذي نقرّ به نحن أيضا. أما فيما يتعلق بتعلّمه

وتعليمه الآخرين واقتباس الفيوض منه فإعلان الكتيب الحكومي في هذا الصدد باطل تماما. وإن خالفني أحد الرأي فليقرأ تعليق الشيخ أبي الكلام آزاد حيث يذكر حالة الأمة المحمدية كما رآها. إنه يذكر حالة أمة تدعي الانتماء إلى محمد المصطفى ﷺ، فيقول:

"ليس هناك نوع واحد من الشقاوة، ولا وجه من أوجه الهلاك إلا وقد خيّم على المسلمين. وليس هناك نوع واحد من الضلال لم ينتشر في هذه الأمة بأشد صورها." (تذكرة ص٢٨٩)

ولا يغيبن عن البال أن الشيخ أبا الكلام آزاد يُعتبر مرشدا كبيرا لمجلس الأحرار. وعندما أنتج المؤتمر الهنديُ (الحزب السياسي للهندوس) مجلسَ الأحرار كان السيد أبو الكلام آزاد هو الوسيط الحقيقي بين الكونغرس ومجلس الأحرار.

يضيف آزاد قائلا:

"فجميع خطوات الضلال التي خطاها أهل الكتاب فقد خطاها المسلمون كلَّها تماما لدرجة قد تحقق فيهم قول الرسول ﷺ: "لو دخلوا جُحْرَ ضَبّ لدخلتموه." فدتْ أنفسُنا وأرواحنا ذلك الصادق المصدوق ﷺ، إذ قد تشبه المسلمون بالمشركين في تقاليدهم وعاداهم حقًّا. وقد اختار المنتمون إلى دين التوحيد تقاليد عَبَدَة الأصنام كلها. وبدأت من جديد عبادة اللات والعزى التي سبق أن تم تخليص الدنيا منها." (المرجع السابق)

إذن الكتاب موجود. ثم ما الذي جرى؟ وما هذه القيامة التي قامت حتى بدأت من جديد عبادة اللات والعزى؟ وعمت القومَ اليوم جميع أوجه الهلاك والدمار واللعنة التي يذكرها السيد آزاد. فهل فكّرتم مرة ماذا ينقص المسلمين حتى بلغت حالهم ما بلغت؟ من الواضح جدا أنه ينقصهم

المرسَل من الله ﷻ. ينقصهم المزكّي السماوي والمصلح الرباني الذي يقوم الله معه حيثما قام، والذي يرسله الله بأمر منه ويهب له بصيرة من نوره، ويؤيده وينصره ويهب له قدرة على إصلاح أحوال القوم الفاسدة.

وهناك مفكر إسلامي آخر (حسب رأي معارضي الجماعة) وهو العلامة محمد إقبال، يرى أن الأمة تُسمّى الأمة المحمدية ظاهريا، ولكن حالتها تبعث على الرثاء والأسف الشديدين. وذلك لأنه عندما يُنسَب شيءٌ طيب إلى شخص طيب يشعر الإنسان بالسعادة والفرح ولكن عندما يحدث العكس فلا يرغب الإنسان حتى في ذكره.

يقول العلامة إقبال في بيت شعره ما تعريبه:

"هناك ضجة أن المسلمين قد انعدموا من الدنيا تماما. نتساءل هل كانوا موجودين أصلا في وقت من الأوقات." (جواب الشكوى من كتابه "بانك درا" ص٢٢٦)

يتساءل "مفكر الإسلام" عما هو وضعهم إذن، فيقول:

"أنتم النصارى هيأةً واليهودُ حضارةً. هل مسلمون هؤلاء القوم الذين يخجل اليهود أيضا من سوء تصرفاتهم؟. منكم من ينتمي إلى قريش، ومنكم من هو من الأفغان، أيّا كنتم ولكن قولوا بالله هل أنتم مسلمون أيضا؟" (المرجع السابق)

فما قولكم الآن أيها المعارضون؟ إنكم ما قبلتم ما صرح به القرآن، وما اهتديتم بهدي الأحاديث الشريفة، فلا بد أن تقبلوا الآن حكم مَن تزعمونه "مفكر الإسلام".

والآن إليكم ما قاله الشيخ المودودي الذي يحتل مكانة عالية عند أصحاب السلطة في باكستان. لا شك أن الشيخ المودودي قد توفّي

ولكن جماعته لا زالت موجودة بشكل من الأشكال وتغدق عليها حكومة باكستان أنواعا من النعم والعطايا. يقول الشيخ المودودي:

"ليس في شريعة الله ما يبرر وجود فرَق مختلفة مثل أهل الحديث والحنفية والبريلوية والديوبندية والشيعة وأهل السنة وغيرها. هذه الفرق نتاج الجهل." (خطبات للمودودي ص١٢٨)

الغريب في الأمر أن الشيخ لا يقبل على صعيد الواقع ما يقوله بلسانه. أما القول بأنه لن يُبعث بعد الرسول ﷺ نبي من أي نوع فله وجهان:

الأول: أنه لن تظهر حاجة تستدعي بعثة الأنبياء نهائيا. وهذا ما صرحوه في البيان الأبيض المزعوم وأبطلتُه بالقرآن الكريم ومسلّمات المسلمين الأخرى.

والثاني: يمكن القول إنه ستكون هناك حاجة إلى الأنبياء ولكن الله سبحانه وتعالى لن يبعث أحدا. وهذه تهمة كبيرة على الله ورسوله بحيث يبدو من هذا الاستنتاج أن النبي ﷺ جاء لوضع حدّ لنعم الله على هذه الأمة (والعياذ بالله). والواقع أنه ﷺ ما جاء لوضع حد لفيضه بل جاء لإنقاذ البشر من كل نوع من اللعنة. ولكن كم هي غريبة حالة هؤلاء المشايخ إذ يرون أنه قد سُدَّ باب فيض النبي ﷺ ولكن كل نوع من اللعنة باقٍ وجارٍ على حاله، ولا يدرون أن هذه اللعنات إنما هي من صنع أنفسهم.

فالسؤال الملح الآن هو: هل هناك حاجة إلى مصلح رباني أم لا؟ وإذا كانت هناك حاجة، ورغم ذلك قلتم إنه لن يأتي أحد، فليس هناك ظلم أكبر من ذلك يمكن صبُّه على الأمة المحمدية.

هاكم الآن بيان ضرورة مجيء المصلح حسب الشيخ المودودي:

"إن معظم الناس يبحثون، لقيادة حركة دينية، عن رجل كامل يكون تجسيدا لكل الكمالات التي يمكن أن يتصورها كل واحد منهم. وبتعبير

آخر إنهم يبحثون عن نبي وإن كانوا يقرّون بختم النبوة بأفواههم، ولو تفوه أحد ببقاء النبوة لاستعدوا لنـــزع لسانه من جذره." (جريدة "مسلمان" الصادرة في سوهدره بالهند عدد ٢٨ فبراير ١٩٤٣م نقلا عن جريدة "الفضل" الصادرة في قاديان عدد ٦ مارس ١٩٤٣م)

يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ما معناه:

"إن قلوبهم معنا مهما أطالوا علينا لسانا سليطا."

إن الذين هم مستعدون دائما لنـــزع ألسنتنا من الجذور تنادي قلوبهم، كما يقر الشيخ المودودي بنفسه، أنه لا يقدر على إصلاحهم إنسان هو أقلّ مرتبة من نبي، إذ ليست هناك عين رأت مثل المساوئ التي هي منتشرة في العالم في أيامنا هذه.

يتبين من التاريخ الذي يذكره القرآن أنه كلما وجد الضعف - مهما كان بسيطا - طريقه إلى قوم، بعث الله عز وجل إليهم نبيًا. إذا فسدت معايير الوزن والكيل لدى قوم، أرسل الله إليهم نبيّا. وإذا أساؤوا التصرف في الأموال أرسل الله إليهم نبيًا.

فخلاصة الكلام أن الأنبياء كانوا يبعثون فيما سبق لكل مرض روحي مهما كان صغيرا، فقام الأنبياء فقط دون غيرهم بالإصلاح. رغم أن الكتب السماوية كانت موجودة في أقوامهم مسبقا فكيف فسدت حالهم؟ ما الذي جرى لهم إذ ليس هناك مرض روحي يمكن أن يتصوره الإنسان إلا وهو منتشر على نطاق واسع في أيامنا هذه، ومع ذلك يرفضون بشدة إمكانية مجيء مصلح من الله.

قد عاينتِ الدنيا أنواعا جديدة للظلم والاضطهاد وعمت وسادت، ورغم ذلك كله يقول هؤلاء: لا حاجة لنا لمرسل من الله. لو ظهر

الدجالون الكذابون لرحبنا بهم، لكن يجب ألا يأتي نبي من الله فإننا لا نقدر على تحمله.

يذكر السيد فضل الدين في مقدمة الكتاب "تذكره" للشيخ أبي الكلام آزاد كيفية الانتظار الشديد للمهدي المنتظر في زمنه ويقول:

"لو انتبه أحد من هؤلاء المشايخ، ولو للحظة، إلى حال القوم المتردية لحاول إقناع نفسه وأتباعه بالقول: ما الفائدة من مساعيكم ومساعينا؟ قد قربت القيامة، ولا بد من دمار المسلمين، فلنؤجل الأمور كلها في انتظار ظهور الإمام المهدي، عندها سوف تخلو الدنيا كلها للمسلمين تلقائيا." (تذكرة ص١٢)

وورد في كتاب هام لأهل الشيعة:

"إذا كان الناس بحاجة في وقت من الأوقات إلى معلم روحي فإنهم أحوج إليه اليوم. إلا أن يقال بأن الناس لم يكونوا في وقت من الأوقات بحاجة إلى رسول أو إمام أو معلم روحي، وأن بعثة المعلمين من الله لاغية وباطلة. ولكن الذي اعترف بهذه الحاجة من قبل فسوف يعترف بها الآن أيضا. والذي آمن بالأنبياء والأولياء والأوصياء من قبل سوف يؤمن بهم الآن أيضا، وسوف يعترف بوجود الإمام. إن المنكر بوجود إمام آخر الزمان ينكر جميع الأنبياء والأوصياء. وهذا ما يثبت من أقوال الرسول ﷺ أيضا." (الصراط السوي في أحوال المهدي للسرسوي ص٤٩-٥٠)

ولكن المشكلة أن معارضينا لن يقبلوا شيئا ما لم يقله "مفكر الإسلام" العلامة محمد إقبال لذا لا بدّ لنا أن نبحث عن أقواله. وها قد وجدنا مقتبسا من أقوال "مفكر الإسلام" هذا بعد جهد مضن، في مجموعة رسائله المنشورة بعنوان: "إقبال نامه" ضمن رسالته الموجهة إلى السيد سراج الدين بال، جاء فيها:

"يا ليت يستجاب دعاء الشيخ "نظامي" في عصرنا هذا، فيشرّف النبيُ ﷺ بمجيئه مرة أخرى ويكشف اللثام عن دينه للمسلمين الهنود." (إقبال نامه ج١ ص٤١)

أي لا يمكن إحياء الإسلام دون مجيء محمد ﷺ مرة أخرى حسب رأي "مفكر الإسلام" هذا. والدين الذي جاء به محمد المصطفى ﷺ كان غير الذي يعيش معه الناس ويتصورونه اليوم. والآن أقدم إليكم شهادة قاطعة من الآيات الأولى لسورة الجمعة لا يسع أحدٌ رفضها إطلاقا.

يقول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكتَابَ وَالْحكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا منْ قَبْلُ لَفي ضَلاَل مُبِين * وَآخَرِينَ منْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ * ذَلكَ فَضْلُ اللّه يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الجمعة :٣-٥). يقول الله تعالى إنه لفضل خاص منه ﷻ يؤتيه من يشاء، ويُنـــزله في أي بلد يشاء. وبيّن ﷻ الموضوع نفسه في موضع آخر أيضا حيث قال: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ (الزخرف:٣٣)؟ كلا! بل الله هو صاحب الرحمة يؤتيها من يشاء ويُنـــزلها حيثما يشاء.

يحاول العلماء الفرار من هذا الموقف قائلين إن المراد من "الآخرين" المذكورين في الآية هم أولئك الذين كانوا في زمن النبي ﷺ.. أي أولئك الذين لم يلتقوا بالنبي ﷺ وأصحابه بعد بل سيأتون في الفترة اللاحقة من عصر النبي ﷺ نفسه.

هذا تأويل قد رفضه الرسول ﷺ بنفسه. فقد جاءت في صحيح البخاري رواية يصعب العثور على رواية أقوى منها:

عن أبي هريرة ؓ قال: كنّا جلوسا عند النّبيّ ﷺ، فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وآخرين منهم لـــمّا يلحقوا بهم﴾. قال، قلت: من هم يا

رسول اللّه؟ فلم يراجعه، حتّى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسيّ. وضع رسول اللّه ﷺ يده على سلمان ثمّ قال: "لو كان الإيمان عند الثريّا لناله رجال أو رجل من هؤلاء." (البخاري كتاب التفسير، سورة الجمعة)

الأمر الأول الذي يتبين من جواب النبي ﷺ هو أن الآخرين المقصود بهم هنا هم أولئك الذين سوف يأتون في وقت متأخر جدا. وللرد على السائل وضع النبي ﷺ يده على سلمان الفارسي، الشخص الوحيد الذي كان من غير العرب.. ولم يضع يده على أحد من العرب.. وقال: لو ارتفع الإسلام إلى الثريا سيكون هناك رجال عظام من أهل فارس، أيْ من قوم سلمان الفارسي رضي الله عنه سوف يعيده إلى الأرض، كما جاء في رواية أن رجلا من أهل فارس يعيده إلى الدنيا.

إذن مَن هم "الآخرين منهم"؟ هم أولئك الذين يظهرون حين يكون الإيمان بالثريا. وهل يُعقل أن يحدث ذلك ويرتفع الإيمان إلى الثريا في زمن النبي ﷺ؟ حين يقول النبي ﷺ بنفسه:

"خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب."

أي القرون الثلاثة الأولى بعد فجر الإسلام تكون مستنيرة، أي إن نوري لن يختفي فجأة. أنا شمس ذات شأن عظيم يبقى نوري في الشفق إلى ثلاثة قرون بعد وفاتي، وسوف ترون هذا النور بأم أعينكم، ثم يأتي عصر الظلام. ولن يُبعث أثناءه أحدٌ حتى يطول هذا الليل المظلم، وسيبدو وكأن الإيمان قد اختفى من الدنيا وأصبح بالثريا.

فكيف يمكن إذن أن نعتبر الآخرين هؤلاء من زمن النبي ﷺ؟

يقول الأستاذ ميكنـــزي في الفقرتين الأخيرتين من كتابه: Introduction To Socialogy، قولا حكيما للغاية وتعريبه كالآتي:

"لا يبلغ المجتمع إلى أوج الكمال دون أناس كاملين. ولا تكفي لهذا الغرض المعرفة البحتة والاطلاع على الحقائق فقط، بل لا بد من الهياج والقوة المحركة... إننا بحاجة إلى معلم ونبي... لعلنا بحاجة إلى مسيح جديد... ومن الضروري لرسول هذا العصر أن يستخدم الوعظ والتبشير في هذه المعمعة..."

ولقد ورد في الكتيب الحكومي نفسه:

"كلما أعلن أحد النبوة بعد النبي ﷺ اعتبره المسلمون كاذبا ومرتدا دون أدنى تردد. ولم تر الأمة بأسرها حاجة إلى المناقشة معه والبحث في أمره، وهذا يكفي للإثبات أن الميرزا كاذب في دعواه."

ثم يقولون:

"ما زال تفسير"خاتم النبيين" رائجا في العالم كله خلال ١٤ قرنا الماضية أن سيدنا محمدا ﷺ كان آخر نبي من أنبياء الله، ولن يأتي بعده نبي. وبناء على عقيدتهم الراسخة هذه ظلوا متكاتفين ضد كل من أعلن النبوة. وفي زمن لاحق أيضا لم تتسامح الأمة الإسلامية إطلاقا، على مدى تاريخ الإسلام، مع أيّ شخص ادعى النبوة."

يقولون بناء على ما سبق ذكره إنه لا يمكن أن يأتي نبي أبدا. وكذلك ثبت أيضا – حسب زعمهم – أن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام كان كاذبا في إعلانه (والعياذ بالله).

لقد استخدموا في كلامهم هذا أيضا تلبيسا غريبا ومداورة بغيضة، إذ لم يبدؤوا ذكر التاريخ من حيث يجب ذكره بل قدموا جزءا ضئيلا جدا منه وأخفوا قسطا كبيرا. كان من المفروض أن تكون دعواهم على النحو التالي: لقد جرت عادة الدنيا منذ زمن سيدنا آدم عليه السلام إلى زمن رسولنا الأكرم ﷺ أنه كلما ادعى أحد النبوة خالفته الدنيا ولا سيما إذا كان

المدعي صادقا. وهذا هو تاريخ الأنبياء الذي يبينه القرآن الكريم ويقول إنه لم يكن هناك نبي عامله الناس معاملة حسنة بل أنكروه دائما وظلموه واستهزؤوا به، فيقول: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس:٣١). إن خالق العباد يقول: يا حسرة عليهم. وهذه قاعدة كلية جارية منذ البداية. فهل ترفضون يا معارضينا كلّ نبي، بعد التسليم بهذا المبدأ، لأن كل واحد من الأنبياء قد تعرض للمخالفة والمعارضة؟ وكيف استنتجتم تلك النتيجة التي توصلتم إليها؟ ألم يحدث هذا في أمة موسى؟ ولقد قرأتُ عليكم آيات القرآن الكريم التي تقول إن الأنبياء الذين جاءوا من بعد موسى عليه السلام تعرض جميعهم للمعارضة. لا شك أنه قد ظهر بعض المتنبئين الكاذبين أيضا لكنهم هلكوا كلُّهم. إذن فالمعارضة التي لقيها سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام لا تؤيد موقفكم بشكل من الأشكال لأن المعارضة تدل على صدقه عليه السلام حسب المبدأ القرآني.

وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ

والآن أشرح لكم موضوعا آخر وهو ما الذي يأمر به الله فيما يتعلق بشخص يعلن النبوة؟ فلو وافقت تصرفاتكم، يا معارضينا، هدي القرآن الكريم لقبلناها على العين والرأس وإلا فلا. يذكر القرآن الكريم أن سيدنا موسى عليه السلام حين أعلن النبوة وخالفته حكومة عصره، وخالفه قومه أيضا مخالفة شديدة، وبدأ فرعون وكبار القوم يخطّطون لقتله عليه السلام، عندها قال رجل من قومه يكتم إيمانه: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ (غافر:٢٩)، لأن الله أعلم منكم بالكاذب، وهو أحق بذلك. إذا كان موسى كاذبًا فيما يقول فإنني أؤكد لكم أنكم

لن تؤاخَذوا بكذبه، فلماذا تهلكون أنتم أنفسكم في مخالفته؟ ولكن إذا كان صادقا سوف يحل بكم العذاب الذي يعدكم به، فلن تجدوا مفرّا ولا ملاذا.

هذا هو التصرف اللائق الذي يأمر القرآن الناس أن يقوموا به تجاه مَن يعلن النبوة بين ظهرانيهم. والمعلوم أن هذا قول شخص عادي وليس قول رسول من الرسل حتى يسجَّل في القرآن الكريم. ولكن القرآن الكريم رغم ذلك قد اهتم بقوله اهتماما كبيرا حتى احتفظ به كنصيحة للآخرين إلى يوم القيامة. إن القرآن الكريم يجيز تجاه من يدعي النبوة ذلك التصرف الذي قام به شخصٌ من قوم موسى سبق ذكره آنفا. ولكن الأسف كل الأسف أن تصرفات حكومة باكستان والمشايخ تعارض تماما ذلك التصرف المذكور في القرآن الكريم.

ولا يسع الحكومة إلا الاعتراف بأن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد أُنقذ من شرور المعارضين. لقد أشعلت نيران المعارضة ضده في كل حدب وصوب، وحيكت المكائد لقتله ولكنها خابت وفشلت كلها. ألم يعلم العلماء آنذاك أن المجادلة مع مدّعي النبوة حرام. ثم أولم يعكف كبار العلماء من معاصريه عليه السلام على الجدال والمناقشات معه؟ في حين كان الأجدر بهم ألا يخالفوا هدي القرآن الكريم في هذا الصدد. ألم يكن في القارة الهندية كلها مسلم شجاع واحد يتقدم لاغتياله وينجح في ذلك؟ ولكن لماذا لم يتمكنوا من ذلك بل ظلوا صامتين واجمين؟ ألم يكن حريًّا بكل مَن يُدعى عالما - بحسب منطقهم - أن يتسابق مع غيره في محاولة قتل سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام؟ ولكن الله تعالى لم يوفقهم لذلك وأنقذ عبده من مكائدهم وشرورهم.

معارضة الإمام المهدي المنتظر

أما فيما يتعلق بالمعارضة، فالسؤال المبدئي هو: هل سيلقى الإمام المهدي المنتظرُ المعارضةَ أم لا؟ إذا كانت المعارضة معيارا لكونه كاذبا فلن يأتي فيكم صادقٌ أبدا، لأن أكابركم قد تنبؤوا بأن المهدي المنتَظر سوف يلقى معارضة مريرة.

يقول السيد نواب نور الحسن خان:

"هذا ما سيواجهه المهدي عليه السلام إذا جاء. فإذا جاء سوف يصبح الإخوة المقلدون كلهم عطاشى لدمه، ويخططون لقتله، ويقولون: هذا الشخص يفسد ديننا." (اقتراب الساعة ص٢٢٤)

والشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي الذي يحظى باحترام كبير في عالم الإسلام بأسره يقول:

"وإذا خرج هذا الإمام المهدي فليس له عدو مبين إلا الفقهاء خاصة." (الفتوحات المكية ج٣ ص٣٣٦)

يقول إن الفقهاء والعلماء سيقومون بعداوته البينة، أما عامة الناس فيعارضونه في خفاء. فماذا يكون قولكم أيها المعارضون عندما يظهر المهدي الصادق؟ سوف تبررون معارضتكم إياه بقولكم إننا ما زلنا نقوم بالمعاملة نفسها مع كل من قام بمثل هذا الإعلان منذ بعثة النبي ﷺ إلى يومنا هذا لأنهم كانوا كاذبين وأنت كاذب كذلك.

ثم يوضح نواب صديق حسن خان ماذا عسى أن يحدث عند ظهور الإمام المهدي فيقول ما تعريبه:

"سيقول علماء الوقت المتعودون على تقليد الفقهاء واقتداء المشايخ وآبائهم إن هذا الشخص يهدد ديننا وملتنا، ويقومون لمعارضته ويكفرونه ويضللونه حسب عادتهم." (آثار القيامة في حجج الكرامة ص٣٦٣)

ولقد وضعوا على الكتيب الحكومي نفس العنوان، وهو أن الأحمديين خطر رهيب على الإسلام فكفِّروهم وأهينوهم.

الآن أقدم إليكم قول مجدد القرن الثاني عشر. يقول حضرته:

"ليس غريبا أن يرفض علماء الظاهر مجتهدات حضرة عيسى عليه السلام بسبب دقة مأخذها وأسرارها، فيروها مخالفة للكتاب والسنة." (مكتوبات الإمام الرباني ج٢ ص١٠٧)

إن هذا المقتبس هام جدا لأنه يذكر معارضة سوف يلقاها عيسى عليه السلام، في حين أننا في أغلب الأحيان نجد ذكر معارضة الإمام المهدي عليه السلام ولا نجد ذكر معارضة لعيسى عليه السلام.

يقول العلماء إن عيسى سينـــزل من السماء واضعا يديه على ملكين لابسا مهرودتين. أقول: فإذا حدث ذلك فمَن سيجرؤ إذن على إنكاره؟ ويقولون أيضا إن عيسى عندما سيصلي خلف الإمام المهدي عليه السلام تنعدم إمكانية رفض الناس إياه تلقائيا وهكذا تُحل المشكلة.

إن حضرة المجدد للقرن الثاني عشر يملك مكانة مرموقة بين العارفين بالله وكان يملك نظرة دقيقة فقال قولا حكيما وعظيما للغاية. إن المسيح الذي سينـــزل من السماء مباشرة - حسب عقيدتهم المختَلَقة - لا يمكن لأي مسلم عادي أن يفكر في معارضته، ولكن الإمام الرباني قد أخبر بكل وضوح بأنه سيلقى المعارضة حتما.

بقي أن نمر بمزيد من المراوغات الواردة في الكتيب الحكومي. إن الإنسان ليتحيَّر من أمره إذ لا يدرك ماذا يريدون قوله إلا بعد تأمل كبير، لأن الكتيب كله عبارة عن الغش والخداع وليس إلا. يقولون:

"يتبلور من هذه الدراسة الوجيزة أن اعتقادنا بختم النبوة جزء من إيماننا، وهو ليس قانونا ذا أهمية أسطورية لا يخضع للنقاش، بل له مضامين اجتماعية أيضا، وبناء على ذلك فقد ساعد هذا الاعتقاد كثيرا على تشكيل حضارة إسلامية."

ما يقصدونه من هذا الكلام هو أن إعلانهم بتمسكهم بعقيدة ختم النبوة ليس إعلانا فارغا فقط بل السبب الهام لذلك هو أنه قد أسفر عن وحدة الحضارة الإسلامية. وبسببه قد بدا في العالم بأسره تمدنا ووحدة عظيمة. فالاستنباط الذي أنتج نعمة كبيرة للأمة المسلمة في كافة أنحاء العالم كيف يمكن أن نتخلى عنه؟ ثم يقولون: إنه لدعامة من دعائم الإسلام فلو أزلناها لانهدم بناء الإسلام بأسره. ثم يقولون:

"لقد اعتُبر هذا الاعتقاد على الدوام جزءا من الإيمان غير المختلف فيه. هذا هو الأساس القوي الذي لا يقوم عليه بناء الإسلام النظري فقط بل يقوم عليه بناؤه الحضاري أيضا."

ويقولون أيضا:

"لقد جعلت هذه النظريةُ من الأقوام المختلفة والطوائف المختلفة من أزمنة مختلفة أمةً واحدةً منخرطة في سلك واحد."

أي إن الشرح للاعتقاد بختم النبوة بأنه لن يأتي نبي بعد رسول الله ﷺ، قد جعل الأمة المسلمة أمة واحدة. وقالوا أيضا:

"إنه أثار التساؤلات في أذهان الناس، وهكذا هيّأ بكل وضوح أسسا لبناء حضارة فريدة."

ولكن السؤال هو: كيف هيأ الاعتقاد بعدم مجيء نبي أسسا للحضارة الإسلامية؟ وإذا كانت أسس الحضارة الإسلامية لا تقوم من دون هذا الاعتقاد فما الذي أنجزه الأنبياء السابقون الذين يبلغ عددهم ١٢٤ ألف نبي تقريبا؟ من المعلوم أنه لم يكن أحد منهم خاتَمَ النبيين، فكيف قامت أسس الحضارات في عهودهم؟ وكيف تيسرت الوحدة لأقوامهم؟

ختم النبوة وأركان الإسلام والإيمان

إليكم الآن مزيدا من التعليقات على هذا الوضع. وكما سبق لي أن قلت إن الإيمان بكون النبي ﷺ خاتَم النبيين اعتقاد لا يقبل الجدل والنقاش أبدا. والحق أننا نحن المسلمين الأحمديين أشدُّ تمسّكًا به من غيرنا. أما شرح كلمة "خاتم النبيين" الذي تركِّز عليه الحكومة والمشايخ فقد أثبتُّ أنه شرح مستحدَث.

الحقيقة أن الاعتقاد بختم النبوة لم يكن من أركان الإيمان قط في وقت من الأوقات. وذلك لأن السؤال الذي يفرض نفسه هو: من ذا الذي يحق له أن يحدد أركان الإيمان؟ سيدنا رسول الله ﷺ أم أنتم؟ هل كان النبي ﷺ الذي نزل عليه القرآن الكريم يجهل هذا التعريف الذي تقدمونه اليوم للإسلام؟

يقول رسول الله ﷺ:

"بُنِي الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت." (الترمذي، كتاب الإيمان)

هذه هي الأركان الخمسة للإسلام التي كان يعْلمها النبي ﷺ. والركن السادس قد تم اكتشافه فيما بعد و لم يُعطَ النبيُ ﷺ أي علم به.

هناك حديث آخر رواه سيدنا عمر رضي الله عنه:

"كنّا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل شديد بياض الثّياب شديد سواد الشّعر لا يرى عليه أثر السّفر ولا يعرفه منّا أحد حتّى أتى النبيّ ﷺ فألزق ركبته بركبته، ثمّ قال، يا محمّد: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه." (الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبرائيل)

لا نجد ذكر الاعتقاد بختم النبوة ضمن أركان الإيمان أيضا. والجدير بالذكر أن الحديث المذكور آنفا يحمل أهمية كبيرة لأن الراوي يقول بعد ذلك بأن الزائر الغريب صدّق ما قاله النبي ﷺ. وقال الصحابة إننا تعجبنا من أمره فقال النبي ﷺ: يا عمر هل تدري من السّائل؟ ذاك جبريل أتاكم يعلّمكم معالم دينكم.

لا نجد ذكر ختم النبوة هنا أيضا ضمن أركان الإيمان. غير أن الأحمدية تؤمن بختم النبوة إيمانا كاملا إذ يقول سيدُنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام مقسما بالله عز وجل بأننا نؤمن إيمانا كاملا بكون النبي ﷺ خاتم النبيين، والذي لا يؤمن بذلك لا نعتبره مسلما، ليس لأن هذا الاعتقاد يدخل في أركان الإيمان، بل لأننا نعتقد اعتقادا راسخا أن كل حرف من القرآن الكريم، بل وكل نقطة منه تحمل عظمة كبيرة لدرجة لو رفضها أحد لخرج من دائرة الإسلام لتوه.

السؤال الآخر الذي يطرح نفسه هو: إن آية "خاتم النبيين" نزلت في عام ٥ هـــ، مما يعني أن معظم فترة النبوة كانت قد مضت قبل نزولها. السؤال الآن هو: أو لم تكن الأمة المحمدية أمة واحدة قبل نزول الآية؟ ألم تكن أسس التمدن الإسلامي والحضارة الإسلامية قد أقيمت قبل نزول الآية؟ وما هي الأحداث التي حدثت بعد عام ٥ هـــ حتى جُعلتِ الأمةُ

أمةً واحدة ووُضِعت أسس الحضارة الإسلامية؟ ما أوهنه من كلام وما أجهله!! ولا علاقة له بالحضارة الإسلامية، لا من قريب ولا من بعيد.

يجب أن نرى ما الذي حدث لحضارتكم اليوم؟ وأية قيامة قامت على تمدنكم حتى انحرف الناس من الاعتقاد الأساسي للحضارة الإسلامية؟

يقول "مفكركم الإسلامي" العلامة إقبال ما معناه:

"إذا أراد أحد مشاهدة نموذج حقيقي للسيرة الإسلامية فليشاهدها في الجماعة القاديانية (يقصد الأحمدية– الناقل)."

(The Muslim Community – A Sociological study, by Allama Dr. Mohammad Iqbal, Page.23.)

إنها لقسمة غريبة حقا بحيث إن الذين هم ثابتون على معتقدات أساسية – حسب قولكم – انتُزعت منهم حضارتُهم كليًّا، فلم يعودوا متحدين ولم يبقوا ثابتين على قيم الحضارة الإسلامية. والذين ليست لهم علاقة، كما تزعمون، بالمعتقدات الأساسية يقول عنهم مفكركم: إذا أردتم مشاهدة نموذج حقيقي للسيرة الإسلامية فلتذهبوا إلى قاديان وشاهدوها هناك إذ لن تروها في أي مكان آخر.

وإن إعلانهم عن الأمة الواحدة وإقامة أسس الحضارة والتمدن ليس إلا إعلانا فارغًا لا حقيقة له ولا أساس.

إذا كان المراد من الحضارة هو أساليب الحياة العادية فلا شك أن المسلمين يتفننون في كل أنحاء العالم في أساليب الحياة، بما فيها اللباس والطقوس الأخرى مثل الزواج والحجاب وما إلى ذلك. وهناك فوارق كبيرة بين طرق العيش عند المسلمين في مختلف أرجاء المعمورة. فعلى سبيل المثال يعيش المسلمون في إندونيسيا عيشا غير الذي يعيشه المسلمون في أفريقيا وأوروبا، ونفس الحال بالنسبة إلى تشيكوسلوفاكية وفنلندا وهنغاريا وغيرها من البلاد. كذلك للأفغان حضارة تختلف تماما عن

حضارة المسلمين في جنوب الهند مثلا. والمعلوم أيضا أن بنغلاديش حين قررت الانفصال عن باكستان صرح أهلها بكل وضوح أن حضارتنا تختلف عن حضارة باكستان تماما وإن كنا على دين واحد. وقالوا: لا شك أننا نعتنق اعتقادا مثل اعتقادكم بالنسبة إلى ختم النبوة، ولكن لكم حضارتكم ولنا حضارتنا.

فلو ألقيتم نظرة فاحصة ومتأنية على العالم كله لوجدتم حضارات مختلفة في كل مكان. وإذا كان المراد من الحضارة هي القيم الدينية والأفكار الدينية والطقوس الدينية الأخرى، فهناك فوارق كبيرة فيها أيضا. هناك اختلاف كبير بين المعتقدات وطريق العمل بها في كل مكان. هناك اختلاف في طريق أداء الصلاة، إذ يصلي الناس في بلد مثلا واضعين أيديهم على صدورهم، ويطلقونها أثناءها في بلد آخر. وفي بعض المناطق يرفعون اليدين أثناء الصلاة وفي بعضها الأخرى تُبتَر الأصابع عند رفعها. وهناك مَن يكفّر القائل برفع اليدين أثناء الصلاة، وهناك من يكفّر مَن لا يرفعها أثناءها. سافِروا إلى أفريقيا وانظروا إلى كيفية الصلاة لدى متبعي مذهب المالكية. ثم انظروا إلى صلاة أتباع الخميني في إيران الذين يُحضرون الحصى من مدينة "كربلاء" ويضعونها أمامهم عند السجود، هذه أيضا حضارة! إذن فكل هذه ليست إلا ادعاءات فارغة وأساطير افتراضية تبنون عليها حضارة أمة محمد ﷺ!!

ما هي الحضارة وما نوعها؟ وبأية كلمات يذكرها علماؤكم أنتم؟ إليكم ما قاله الشيخ المودودي في هذا الصدد:

"لو استعرضتم هذا المجتمع الإسلامي المزعوم لوجدتم المسلمين من أنواع مختلفة حتى يتعذر عليكم إحصاؤها. إنه لحديقة حيوانات اجتمعت فيها ألوف الأنواع من الحيوانات بما فيها النسور والحدءات والغربان

والعصافير وغيرها. وكل واحد منهم "عصفور"." (المسلمون والعراك السياسي الحالي ج٣ ص٢٦)

لاحظوا مدى الظلم والإهانة والسخرية التي يوجِّهها إلى الأمة، ولا يشعر لها بأدنى ألم، بل كلما يتحدث يسخر من القوم ويستهزئ استهزاء ما بعده استهزاء. ولم يكتمل استهزاؤه ما لم يستعمل تعبيرا ساخرا (عصفور) رائجا في منطقة "يو بي" بالهند وله معنى خاص في تلك المنطقة. وكان الأجدر به أن يشعر بالألم على ذلك بدلا من الاستهزاء والسخرية. لا شك أن الناس قبله أيضا ذكروا مثل هذه الأمور لأن الحق يقال، ولكنهم ذكروا ذلك بشعور عميق للتوجع والتألم وليس بالسخرية والاستهزاء مثله. أما الشيخ المودودي فيتلذذ بالتهكم على وضع المسلمين السائد.

أهذه هي الحضارة التي توحد عليها المسلمون جميعا؟ هل هذا ما أسفر عنه اتفاقكم على فكرة عدم ظهور نبي بعد رسول الله ﷺ؟ هل هذه هي الحضارة التي تتشدقون بها وتعلنونها على دقات الطبول؟ لا شك أنها قصص افتراضية كلها.

أقدم إليكم الآن حال المسلمين في بورما من خلال مقتبس من جريدة موثوق بها عند المعارضين وهي جريدة "أهل الحديث" عدد ١٦ نيسان ١٩١٤م، حتى لا يقول معارضونا إنكم أنتم الذين أفسدتم الوضع كله. يقول مراسل الجريدة:

"هذا العبد الضعيف مقيم هنا منذ عشرة أيام. كان هناك اجتماع ديني مزمع انعقاده في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم في المسجد الجامع. فذهبت إلى المسجد عند الظهر. كان المسجد مليئا بالناس وكان الوضع مثيرا للاستغراب والعجب. هناك كؤوس من الخمر وأطباق من التمور والموز

موضوعة أمام إمام المسجد. يرفع الناس أيديهم ويقرؤون بعض الأوراد مرة بعد أخرى وكلماتها: "معشوق حقاني عبد القادر الجيلاني"... "الروح ذات الفتوح" وغيرها. وبعد الأوراد عزفوا على أنواع مختلفة من الموسيقى وتصاعدت الأصوات: "يا مرادي، يا مرادي" حتى دوّت في أنحاء المسجد، ثم خلطوا بالماء نشارةً من الصندل ووضعوا علامات بيضاء على أعناق الجميع وجبهاتهم مثلما توضع للرهبان. ثم استولت على امرأة فاسقة حالةٌ معينة من "الوجد" وبدأت بالرقص (في المسجد! هذا نموذج لحضارة إسلامية في بورما - الناقل) ووضعت وجهها فوق الموقد، ووضعت يدها بين الوجه والنار. (أي وضعت الوجه فوق النار لإراءة الناس فقط ووضعت أمامه يدها خلسة حتى لا يحترق - الناقل) ثم شرع خادم المسجد يعزف على الدف بقوة، فساد السكوتُ المسجدَ كله. ثم قرأ الشيخ الورد النهائي ووُزِّعت التمور والموز والأشربة ولبسوا أكاليل الزهور. ثم نهضوا الساعة الرابعة وقبّلوا حوالي خمسين راية موضوعة في المحراب، ثم أخرجوها، ثم زيّنوا بها ثلاثة أفراس وأركبوها روح "قادر الأولياء"* على أحد الأفراس. (هذا أحد النماذج للحضارة التي تشكلت نتيجة للإيمان بختم النبوة، حسب زعمهم - الناقل) وأركبوا أرواح حوارييه على فرسين آخرين. ثم تجولوا في المدينة متسولين يطلبون العطاء. عندما كان هؤلاء الناس يتجولون في المدينة كانت هيأتهم تبعثني على الضحك عفويا. وكان هناك بعض الرجال الأقوياء الضخام وأصحاب اللحى قد لبسوا لباسا تحتانيا قصيرًا جدا وهم يرددون: "يا مرادي يا مرادي، عبد القادر." والآخرون يدقون وراءهم الطبول في حالة غريبة من

---

*المرشد الديني في منطقة "مدراس" بالهند الذي كانوا يحتفلون بذكراه. (الناشر)

النشوة، وهكذا عادوا إلى المسجد قبيل المغرب. يا أسفًا على المسلمين الذين كان دينهم التوحيد وقد أصبحوا اليوم يرتكبون الشرك والبدعات كهذه، وذلك في المساجد!"

أقول: إن مثل هذه المشاهد تتراءى هنا وهناك في كل بلد. وتظهر حضارة مختلفة تماما في احتفالات كهذه في باكستان مثلا، إذ نرى حضارة من نوع في مساجد أهل الحديث، وحضارة من نوع آخر في مجالس العزاء لأهل الشيعة. كما تختلف هذه الطقوس من بلد إلى آخر، فمثلا إن أهل الشيعة في إيران لا ينحبون حدادا على سيدنا الإمام حسين عليه السلام كما ينحب الشيعة في باكستان. ومن أهل الشيعة من يستنكر هذا الفعل نهائيا ومنهم من يشجب مستنكريه. ففي كل مكان هناك حضارة مختلفة تماما، ولم تعد هناك وحدة في الأفكار الحديثة أيضا. ولذلك فإن قولهم عن وحدة الحضارة ليس إلا ادعاء فارغا لا حقيقة له أكثر من ذلك.

لقد جاء في ص٦ للكتيب الحكومي:

"إن أسفار التوراة والإنجيل تشهد بأن جميع الأنبياء السابقين قد تنبؤوا بالأنبياء المبعوثين بعدهم. ولكن لا توجد في القرآن الكريم أدنى إشارة بهذا الشأن، وعلى عكس ذلك نجد في القرآن الكريم آيات واضحة تبرهن دون أدنى شك على أن منصب الرسالة قد وصل إلى باب مسدود وأُغلِق بابُ النبوة إلى الأبد. وتوجد في هذا الصدد عديد من الأحاديث الصحيحة والمتفق عليها والحائزة على سند التواتر أيضا."

فيما يتعلق بالجزء الأخير من المقتبس فقد تحدثتُ حوله مسبقا. أما الآيات القرآنية الواضحة فلم يوردوا ولا واحدة منها. لقد قاموا بإعلان ولم يقدموا عليه آية واحدة كدليل. ذكروا مفكري الإسلام وقدموا

أقوالهم، ثم ذكروا الأحاديث وقدموا بعضها حسب زعمهم وسبق لي أن علّقتُ عليها أيضا. ولم يقدموا ولا آية واحدة من القرآن الكريم تأييدا لإعلانهم. وما قدموه في هذا الصدد هو حديث فقط يذكر الدجالين الثلاثين، دون أن يذكروا آية واحدة من القرآن الكريم.

النبوة في أمة محمد ﷺ

والآن نستعرض دعاويهم في ضوء القرآن الكريم. إن لم يجدوا آيات القرآن الكريم حول هذا الموضوع فهذا بسبب جهلهم، إذ إن هناك آيات صريحة في القرآن الكريم توضح الموضوع بجلاء كما قدمت من قبل آية من سورة الجمعة. والآن أقدم آية من سورة النساء حيث يقول الله ﷻ:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ (سورة النساء: ٧٠-٧١).

يستنتج المشايخ من هذه الآية ويقولون إن المطيعين لله والرسول ﷺ يكونون في صحبة المنعم عليهم ولن يكونوا من المنعم عليهم. أرى من الأنسب أن نبحث في أمر آخر قبل الخوض في موضوع صحة هذا الاستنتاج. فيجب أن نرى أوّلاً ما الذي تعلنه الآيات المذكورة؟

تقول الآية: "من يطع الله والرسول" أي محمدًا ﷺ. ما أعظمَه من إعلان! إنه إعلان أكبر وأعلى مما سبقه من جميع الإعلانات من هذا القبيل. إذ إن الإعلانات السابقة كانت تقول: من يطع الله وموسى، أو من يطع الله وإبراهيم، أو من يطع الله ونوحا، أو من يطع الله وداود وسليمان عليهم السلام جميعا؛ أما الآن فقال الله تعالى: ﴿من يطع الله والرسول﴾، أي من يطع الله ومحمدًا. ألا ترى أنه كان من المفروض، في

هذه الحالة، أن يكون الإنعام على أتباع النبي ﷺ أكبر من أتباع الأنبياء الآخرين؟ ثم هل الناس من الأمم السابقة الذين أطاعوا رسلهم كانوا يتلقون الجواب بأنهم إذا أطاعوا رسولهم فسوف يكونون في صحبة المنعَم عليهم فقط ولن يكونوا منهم أبدًا؟ ألا ترى أن هذا المفهوم بهتان عظيم على النبي ﷺ وعلى القرآن الكريم؟ أليس هذا الاستنتاج إساءة كبيرة للنبي ﷺ؟

لقد تم هنا إعلان عظيم جدا بأن النبي ﷺ أفضل الرسل وأكملهم، والذين يطيعونه إنما يطيعون الله. وهل يُعقل أن يقال بعد ذلك بأن الذين يطيعون الله وهذا النبي ﷺ لن يكونوا من المنعم عليهم، بل سوف نضعهم مع المنعم عليهم فقط (والعياذ بالله). هذا التفسير خاطئ ولاغ بكل المعايير ويكذبه القرآن الكريم بنفسه، لأن الكلمة "مع" هي في محل المدح، ونظيره: ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾، هنا أيضا وردت كلمة "مع" ولم ترد "من". ومن المعلوم أن كلمة "مع" تعطي معنى المعية ومعنى "مِن" أيضا. فقد علَّم الله سبحانه وتعالى الأمة المحمدية دعاءً: ﴿توفنا مع الأبرار﴾ فهل يعني هذا أننا ندعو الله تعالى ليلَ نهارَ أنه كلما مات أحد من الأبرار فاقبِضْ روحنا أيضا يا رب؟

أهذا هو الدعاء الذي يعلمنا الله سبحانه وتعالى في كلامه المجيد يا ترى؟ إلى أي مدى تسخرون من أمة محمد ﷺ، وإلامَ تسخرون وتستهزئون؟ الحق أنه لا يمكن أن يُستنبط من كلمة "مع" الواردة هنا إلا معنى "مِن" وعليه فيكون معنى الآية ﴿وتوفّنا مع الأبرار﴾: توفنا يا رب عندما نكون من الأبرار في نظرك. لو استخدِمت كلمة "مع" للإشارة إلى أناس يزداد عددهم على واحد، وكانوا من الجنس نفسه وكان الكلام مدحًا لهم فلا بد أن يستمَد مِن كلمة "مع" معنى "مِن". ولكن لو اختلف جنس المشار

إليهم لتغيّر المعنى أيضا وأعطت معنى الصحبة فقط ومثاله: ﴿إن الله مع الصابرين﴾. هنا لم ترد كلمة "مع" بمعنى "مِن" وذلك لاختلاف نوع الجنس (الله – الصابرين) المشار إليه.

يؤكد القرآن الكريم بنفسه على هذا المفهوم إذ يقول: مع الذين أنعم الله عليهم، ثم يقول: "من النبيين"، أي المراد من "مع" هنا هو "من". مما يعني أن الذين يكونون مع الرسول ﷺ يكونون من النبيين وليس في معيتهم فقط. يكونون من الأنبياء أيضا ومن الصديقين أيضا ومن الشهداء أيضا ومن الصالحين أيضا.

ثم يقول الله ﷻ في موضع آخر: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير﴾ (الحج:٧٦).

يقول معارضونا: هذه الآية نزلت حين كان الله ﷻ قد امتنع عن اصطفاء الرسل من الناس. وكان رسول الله ﷺ قد أصبح خاتم النبيين. ولكن الحقيقة أن الله تعالى يخبر النبيّ ﷺ أنه **يصطفي** رسلا من الناس، و لم يقل "كان يصطفي". ولو كانت النبوة قد انقطعت نهائيا، فما هو الغرض الذي تفيه هذه الآية؟ إن كلمة "يصطفي" جاءت في صيغة المضارع وتفيد الاستمرار، ليت أولئك الذين يدّعون كونهم علماء يفهمون هذه النكتة.

ولقد ورد في تفسير لأهل الشيعة في شرح هذه الآية:

"﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا﴾ يعني جبرائيل وميكائيل ﴿ومن الناس﴾ يعني النبيين." (مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، ج٧ ص١٧١). أي المراد من الرسل هنا الأنبياء.

ثم يذكر الله ﷻ في القرآن المجيد ميثاقا ويقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران:٨٢).

ثم يقول ﷻ في سورة الأحزاب حيث وردت آية خاتم النبيين: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٨-٩).

إن ميثاق النبيين لم يؤخذ من الأنبياء السابقين فقط وإنما أُخِذ من رسول الله ﷺ أيضا كما تبرهن عليه كلمة "منك". فإذا كان من المقدر أنه لن يأتي بعده نبي من أي نوع كان، فلماذا أُخِذ منه هذا الميثاق؟ بل المراد أنه لو جاء نبي بحسب الشروط الواردة في آية الميثاق، مؤيدا لتعاليمه ﷺ لوجب عليه، أي على أمته ﷺ أن تنصره وتؤيده. والمراد من كلمة "منك" هو أمته ﷺ لأنه ليس من الممكن أن يأتي نبي بعده ﷺ وينـــزل النبي ﷺ من السماء لتأييده ونصرته. فلا يمكن أن يكون المراد هنا إلا أتباعه ﷺ.

لقد بيّنتُ الأنباء الواردة في القرآن الكريم، والآن نعود إلى الأحاديث. مما لا شك فيه أن النبي ﷺ قد تنبأ بمجيء عيسى نبي الله. إن معارضينا بأنفسهم قد أوردوا هذا الحديث ويعترفون أيضا أن الحديث المشار إليه ثابت بالتواتر، كما يقرّون بظهور الإمام المهدي أيضا، ولكنهم مع ذلك يقولون: كان من المفروض أن يتنبأ النبي ﷺ بنفسه عن بعثة شخص يأتي بعده، وبما أن مثل هذا النبأ لا يوجد في القرآن الكريم لذا فلن يأتي أحد. ولكنهم من ناحية أخرى متمسكون بكل شدة بعقيدة ظهور المهدي، ويقولون أيضا بأن الذي لا يؤمن بكونه نبيا يكون كافرا أشد الكفر. وإلى جانب ذلك يعتقدون أيضا أن النبي ﷺ حين أخبر عن نزول عيسى عليه السلام

قال: "ليس بيني وبينه نبيٌّ، يعني عيسى عليه السلام، وإنه نازلٌ." (سنن أبي داود، باب ذكر خروج الدجال)

وفي رواية عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: "ألا إن عيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول، إلا أنه خليفتي في أمتي من بعدي." (المعجم الأوسط للحافظ الطبراني رقم الحديث: ٤٨٩٥)

ومن خلال هذا الحديث قد حل النبي ﷺ هنا قضية "لا نبي بعدي"، وقضية الدجالين الثلاثين أيضا إذ قال: ليس بيني وبينه نبي. المراد من "بعدي" هو أنه مهما ظهر الدجالون الكذابون فلا تحسبوا عيسى دجالا، إنه نازل لا محالة غير أنه ليس بيني وبينه نبي ولا رسول. ثم قال: "إلا أنه خليفتي في أمتي." مما يعني أنه ﷺ لا يتحدث عن المسيح الناصري عليه السلام بل يذكر مسيحا جديدا سوف يبعث في الأمة المحمدية ويكون منها. يقول حضرة محي الدين بن عربي رحمه الله:

"عيسى عليه السلام ينـــزل فينا حكما من غير تشريع وهو نبي بلا شك." (الفتوحات المكية ج١ ص٥٤٥)

يعلق المشايخ على هذا التصريح قائلين: إنكم تخوضون في حديث عن عيسى الناصري، وإنه نبي قديم، والشيخ محي الدين بن عربي أيضا يتحدث هنا عن نبي قديم.

ولكن قولهم هذا باطل بالبداهة. لا يتحدث الإمام ابن عربي عن المسيح القديم إذ يقول حضرته:

"وجب نزوله في آخر الزمان بتعلقه ببدن آخر." (تفسير القرآن الكريم، لابن عربي ج١ ص٢٩٦)

أي لن يظهر عيسى ببدن قديم، ولن تروا عيسى الذي تعتقدون بغيابه ببدن قديم، بل عيسى الذي سيأتي الآن يكون ببدن جديد. فمن هذا المنطلق يقول حضرته: "هو نبي بلا شك."

إنني أستغرب كل الاستغراب من حالة مؤلفي البيان الأبيض المزعوم إذ يقولون، رغم وجود كل هذه العبارات الواضحة، إن النبي ﷺ لم يتنبأ ببعثة أحد بعده.

يقول صاحب تفسير فتح البيان: "... ففي زاد المعاد للحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى: .. ما يُذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يُعرف به أثر متصل يجب المصير إليه. قال الشامي: وهو كما قال، فإن ذلك إنما يروى عن النصارى، والمصرح به في الأحاديث النبوية أنه إنما رُفع وهو ابن مائة وعشرين سنة." (فتح البيان في مقاصد القرآن ج٢ ص٢٤٧)

توضح العبارة الآنفة الذكر أمرين اثنين بوضوح تام: أن الروايات التي تُقدَّم في هذا الصدد ليست لها أسانيد قوية موثوق بها. ويقول الإمام الشامي: إنها روايات النصارى المدخولة ولا تقوم على أصل أو أساس.

ويقول الإمام ابن القيم:

"وأما ما يُذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، فهذا لا يُعرف له أثر متصل يجب المصير إليه." (زاد المعاد لابن القيم الجوزية ج١ ص٣٠)

هذا هو اعتقاد الإمام بن القيم الذي يعترف البيان الأبيض المزعوم بكونه مفكّرًا إسلاميًا. وإلى جانب ذلك يعتقد حضرته أن عيسى سيأتي لا محالة لكن ليس عيسى الناصري عليه السلام لأنه لم يُرفع أصلا إلى السماء بجسده العنصري وبالتالي لن يأتي مرة أخرى. لماذا تحدث هؤلاء الأئمة الأتقياء الأطهار والعارفون بالله بمثل هذا الكلام؟ هذا هو السؤال الهام!

فيقول الإمام ابن القيم في موضع آخر موضّحا الموضوع:

"ولو كان موسى وعيسى عليهما السلام حيين لكانا من أتباعه." (مدارج السالكين لابن القيم الجوزية ج٢ ص٤٩٦)

المراد هو: بما أنهما ليسا حيّين لذا فلم يدخلا في قائمة أتباعه ﷺ. وقد ضم ابن القيّم عيسى مع موسى عليهما السلام إلى هذه القائمة. ويقول الإمام بأن الروايات القائلة بصعود عيسى عليه السلام إلى السماء ليست إلا أساطير افتراضية.

إن العلامة ابن خلدون أيضا من مفكري الإسلام والصلحاء العظام المعترف بهم في الكتيب الحكومي، فيقول:

"قال ابن أبي واطيل: "والشيعة تقول إنه هو المسيح مسيح المسائح من آل محمد. قلت، وعليه حمل بعض المتصوفة حديث لا مهدي إلا عيسى. أي لا يكون مهدي إلا المهدي الذي نسبته إلى الشريعة المحمدية. نسبة عيسى إلى الشريعة الموسوية." (مقدمة ابن خلدون ج١، ص٤٠٧)

لم يقتصر الأمر في الكتيب الحكومي على مفكر الإسلام المذكور آنفا بل اعتمدوا إلى حد كبير على العلامة إقبال كمفكر الإسلام. أما الآخرين فقد أسموهم بالمفكرين بكل بساطة ثم مروا بهم مرّ الكرام، وبنوا بنيانا حقيقيا لحججهم المزعومة على أقوال العلامة إقبال. لنر الآن ما يقوله "المفكر الإسلامي"، العلامة إقبال في قضية تختلف فيها الأحمدية مع الفرق الإسلامية الأخرى إذ تعتقد الأحمدية أن عيسى الناصري عليه السلام لن يعود إلى الأرض مرة أخرى بل سوف يُبعث شخص آخر مثيل له ويسمَّى عيسى بصورة معنوية. يقول العلامة إقبال متحدثا عن معتقدات الأحمدية بهذا الخصوص ما معناه:

"بقدر ما استوعبت وجهة نظر هذه الحركة بخصوص عيسى عليه السلام بأنه مات مثل أي إنسان فان، وأن المراد من ظهوره ثانية هو ظهور مثيله من الناحية الروحانية، فإنها تحمل قدرا من المعقولية".

(ISLAM AND AHMADISM, With a reply to Questions raised by Pandit Jawahar Lal Nehru. By Dr. Sir Muhammad Iqbal.)

لم يبق الآن إلا أن نبحث أنه إذا كان عيسى عليه السلام قد توُفِّي فعلا فكيف يعود إذن مرة ثانية؟ هل سيأتي المسيح القديم بنفسه أو سيأتي شخص آخر بصورة مثيله الروحي؟ فيقول مفكرو الإسلام والصلحاء الكبار.. الذين يعترف بهم معارضونا أيضا.. بأن فكرة ظهور شخص من الأمة المحمدية كمسيح بدلا من ظهور المسيح القديم فكرة معقولة، كما بينه العلامة ابن خلدون بكلمات واضحة وبيّن أيضا حكمة هذا الاعتقاد. ولكن هناك أمر آخر أيضا وهو أن العلامة إقبال كان متأثرا بالحضارة الغربية وفلسفتها، وبالتالي كان ينظر إلى الإسلام أيضا بمنظور الفلسفة الغربية. والحق أنه لا يتفق معنا ولا مع غيرنا في أمر المعتقدات. أما فيما يتعلق بمعقولية المعتقدات فيكتفي بالقول إن معتقدات الأحمديين أكثر معقولية من غيرهم. واقع الأمر أن اعتقاده يختلف عن الأحمديين وغيرهم أيضا، إذ يعتقد أنه لن يأتي في الأمة المحمدية أحد نهائيا، ويعتبر اعتقاد ظهور المسيح والمهدي قصصًا افتراضية فحسب. مما يعني أن واحدا من مفكري الإسلام يقول إن الروايات التي تذكر صعود عيسى عليه السلام إلى السماء بجسده العنصري ليست من الإسلام في شيء بل هي روايات دخيلة، بينما يقول المفكر الآخر (العلامة إقبال): إن الروايات التي تذكر مجيء عيسى عليه السلام ليست من الإسلام في شئ. وهذا يعني أن صعود عيسى إلى السماء ونزوله من السماء أمران ناتجان عن روايات غير

إسلامية. وهكذا فقد تخلى اثنان من مفكري الإسلام المذكورين في الكتيب الحكومي عن فكرة عيسى عليه السلام نهائيا.

في عام ١٩٠٥م نظم العلامة إقبال شعرا قال فيه ما تعريبه:

"شاهِد نزول ربك على منارة قلبك، وتخلَّ عن انتظار المهدي وعيسى." (باقيات إقبال لعبد الواحد معيني، ص٤٥١)

أي لن يأتي مسيح ولا مهدي. لا شك أن هذا ما قاله العلامة إقبال في شعره. والمعلوم أن الشاعر قد يقول في كلامه المنظوم ما يستدعي التأويل، ولكن لا يمكن تأويل الكلام المنثور. يقول إقبال نثرًا ما تعريبه:

"الأحاديث المتعلقة بالمهدوية والمسيحية والمجددية ناتجة عن أفكار إيرانية وعجمية حسب رأيي، ولا علاقة لها بالأفكار العربية وبروح القرآن الصحيحة." (إقبال نامه ج٢ ص٢٣١)

وعلاوة على ذلك هناك العديد من مؤلفات العلامة إقبال التي طالعتُها ووجدتُ فيها عبارات تبرهن على أن هذه الفكرة - عنده - فكرة غير إسلامية وجدتْ طريقها إلى الإسلام بعد فترة طويلة جدا، ولن يظهر مسيح ولا مهدي. أي أن هذه الأفكار كلها وجدت طريقها إلى المعتقدات بعد قرون طويلة بتأثير من الحضارات الأجنبية. إذن فيجب على أتباع "المفكر الإسلامي" هذا أن يفكروا في أن مفكرهم قد تخلى عن فكرة ظهور المهدي والمسيح بأي شكل كان. في حين إن رسول الله ﷺ قد تنبأ بمجيئه في أحاديث تبلغ درجة التواتر. لذا يجب أن يحسموا الموقف في أمرهم فيما إذا كانوا يريدون الاقتداء بمفكرهم أو الاقتداء بالنبي ﷺ؟ أو هل يختارون (عيسى عليه السلام) الذي ينتمي إلى أمة موسى عليه السلام ولا ينتمي إلى أمة محمد ﷺ؟ أم يختارون مَن ينتمي إلى أمة محمد ﷺ وهو خادمه المطيع وتلميذه المخلص؟

أما فيما يتعلق بنا نحن الأحمديين فنعتقد يقينا - كما تعتقدون أنتم أيضا - أن المسيح المقبل سوف يكون نبي الله حتما ولا نختلف في هذا الاعتقاد قط. فلماذا تفترون علينا افتراءات كبيرة ولماذا تثيرون ضجة؟ ولماذا ألفتم كتبا عديدة وبدأتم حملة التكفير ضدنا؟ في حين تعتقدون أنتم أيضا اعتقادا راسخا أن الذي سيظهر باسم المسيح يكون نبيّا حتما. أما قضية كونه قديما أم جديدا فهذا أمر آخر. ولقد كتب السلف الصالح والمفكرون الذين تعترفون بهم أنتم أيضا أن المسيح المقبل سيكون نبي الله حتما ولن يأتي مسيح قديم بل سيظهر شخص آخر ببدن آخر، وأن المهدي وعيسى المقبل لن يكونا شخصين مختلفين. أما فيما يتعلق بالأحمدية فالموضوع بالنسبة لها بيّن وواضح كوضوح النهار في ضوء القرآن والحديث ولا مجال للشك والريبة فيه. ولكنكم رغم ذلك مازلتم تخاصموننا منذ مائة عام، وتظلموننا ظلما على ظلم من جانب واحد، ولا تكادون تكفّون عن الاضطهادات.

أهكذا تسوَّى قضايا المعتقدات؟ تستطيعون أن تقتلوا شخصا أو شخصين أو ألف شخص من الأحمديين، بل اقتلوا بقدر ما شئتم منهم، ولكننا نعرف يقينا أن الله ﷻ لم ولن يزال يعتبرهم أحياء ولا تقدرون على إماتة من أحياه الله. غير أنكم تحاولون عبثا إحياء من أماته الله سبحانه وتعالى. لقد خابت آمالكم في محاولتكم الأولى ولا بد أن تخفقوا في محاولتكم الثانية أيضا، ولن تقدروا على إحياء عيسى عليه السلام. إن كنتم تريدون القضاء على الأحمدية فلن تقدروا على ذلك بقتل عشرة من أبنائها أو مائة أو آلاف منهم، بل أحيوا شخصا واحدا - عيسى عليه السلام - بدلا من قتل آلاف من الأحمديين فلسوف تموت الجماعة تلقائيا بإحيائكم إياه. لقد طال الخلاف والنـــزاع وامتد إلى مائة سنة، ولقد قال علماؤكم أنتم قبل

مائة سنة أو أكثر إن حالتكم قد ساءت إلى حد كبير و لم يبق فيكم من الإسلام إلا اسمه، فماذا يفعل عيسى عليه السلام متربعا في السماء ولِم لا ينـــزل لإصلاح أحوالكم؟ فبدلا من أن تقتلوا الأحمديين كلهم أحيوا ميتا واحدا، عيسى عليه السلام. وإنني أعلن وأتحداكم باسم الأحمدية كلها أن القضية سوف تنتهي عند هذه النقطة. وأقسم بالله أنكم لو أحييتم عيسى عليه السلام أو أنزلتموه من السماء فوالله لبايعتُه أنا وجماعتي بأسرها قبل غيرنا، ولتراجعنا من موقفنا السابق على الفور. ولسوف نقاتل أمام عيسى عليه السلام ووراءه وعن يمينه وعن شماله. فإننا قد تعوّدنا على الإيمان بالمرسلين وتصديقهم. إننا نصدق مائة بالمائة إعلانَ سيدنا محمد المصطفى ﷺ الواردَ في القرآن بكلمات: ﴿قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العابدين﴾ (الزخرف: ٨٢).

لا شك أنكم تعيشون في عالم الأوهام والخيالات ولا علاقة لكم بحقائق الأمور، يا حسرة عليكم! أما نحن فندعو لكم أيضا إلى جانب هذه الحسرات. إنني أقسم بعزة الله وجلاله الذي نفسي ونفوس الأحمديين كلهم في يده، وأدعوه أن يهلكنا ويبيدنا جميعا إن كنا نحن الخاطئين وكان عيسى عليه السلام حيا في السماء حقيقةً. ولكنني أحلف بالله أنه قد مات والإسلام حيّ. إن حياة الإسلام تقتضي منكم فدية، ألا وهي موت عيسى عليه السلام!! فدعوه يمت ففي ذلك حياة الإسلام.

إن أهل باكستان يمرون في هذه الأيام بظروف مؤلمة للغاية وهم تحت وطأة عقوبة قاسية من الله تعالى كما تنبأ بذلك سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بصورة واضحة. وتتحقق هذه الأنباء بصورة أخرى أيضا أنه حيثما تهرق دماء الشهداء تنبت من الأرض نفسها الحدائق والبساتين المزهرة والمثمرة. ومقابل كل قطرة من دمهم يهدي الله عز وجل روحا سعيدة. ويتبيّن من القرآن الكريم كلا الأمرين، أي أن الشهادات

يعقبها النمو والازدهار الكبيران، ونزول الأفضال والبركات الإلهية، وقد يحل بالظالمين الغاشمين دمار شامل فتُطوى صفحتهم.

أما نحن فلسنا من الذين يرضون بالنعم فقط، بل تعودنا على السعادة والرضا في الابتلاء والمصائب أيضا. لذا فإننا خاضعون لأمر الله تعالى في كل الأحوال لأننا قد تعلمنا أساليب الصبر والرضا، وعليها سوف نعيش إلى آخر لحظة في حياتنا. غير أنكم أنتم يا معارضينا في خطر لأن عقاب الله عندما يحل بقوم لا يترك لهم مجالا للفرار، وسوف يحيط بكم العذاب من حيث لا تشعرون. ولكن لو استغفرتم الله وطلبتم رحمته ونصرته لوجب عليكم أن تكفوا عن تأجيج الفتن، هذا هو السبيل الوحيد لنجاتكم.

(خطاب ألقي بتاريخ ٧ أبريل/نيسان ١٩٨٥م في الاجتماع السنوي للجماعة في بريطانيا)